ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

القرآن الكريم

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 38 - العدد 1086 - الجمعة 8 رمضان 1425 هـ - الموافق 22 أكتوبر 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

ذكرى عظيمة

يخلد الشعب المغربي والعالم من خلاله ذكرى وفاة بطل الجهاد والتحرير جلالة المجاهد الأكبر محمد الخامس طيب الله ثراه ليلة العاشر من شهر رمضان شهر التوبة والغفران شهر نزول القرآن والكل يغبط رمز الشهامة والوفاء صاحب الذكرى على ما خلد من ذكر جميل وأحدوثة طيبة لهجت بذكرها الألسن وتبارت في نشر محامد المغفور له بكرم الله أقلام المفكرين النابهين والعلماء العاملين المرموقين وقادة الشعوب وكتابها المرموقين مخلدا سفرا من المجد ضخما قل من وفره لأمته وللإنسانية تعتز بما تضمنه من موروث يزخر بالقيم المثلى...

إن جلالة المغفور له محمد الخامس نادرة زمنه وفريد عصره وأوانه في الإيمان الراسخ وبعد النظر المصيب، فلقد كان مثالا يحتدى به في قوة الإرادة النافذة والرأي الصائب، إن من تتبع بالدراسة والتمحيص التاريخ الذي اعتلى فيه صاحب الذكرى عرش أسلافه المنعمين الملوك الشرفاء العلويين يجد أن ذلك الظرف الزمني كان بالنسبة للشعوب المحتلة ظرف اضطهاد واستعمار ونكال بحقوق المستضعفين من شعوب افريقيا وغيرها ممن ابتلى بويلات الاستعمار الظالم التي عانى منها الشعب المغربي فاحتل المستعمر الديار وهدم الأمصار وأزهق الأرواح البريئة وقسم الأرض وساكنتها حسب هواه وما تمليه عليه مصلحته الجائرة في الوقت الذي اشخنت جراحات المستعمر الشعوب واجه المغفور له بإرادته الصلبة وإيمانه القوي وحنكته الرائدة المستعمر وجبروته فلم يهدأ له بال حتى أشعلها ثورة عارمة على معاقل الظلم والطغيان هو وشعبه الوفي الذي لا يقبل الهضم ولا الهوان مهد لهذه الثورة الناجحة ضد المستعمر العرش والشعب فحالفهما النجاح بالرغم مما حيك ضد هذه الانتفاضة من مؤامرات قصد إفشالها ولكن المغفور له ومجاهدي هذا الشعب الأبي أفشلوا خطط المستعمر، فلم ترهب المغفور له التهديدات، ولم تؤثر فيه الإغراءات، ولم يرده عن تحقيق هدفه السامي ما لاقى هو وأسرة المالكة من سجن ونفي وتنكيل بل زاده ذلك إصرارا على المضي في طريقه حتى حقق لأمته حريتها واستقلالها موحدة غير مجزأة، وفعلا كان له ما أراد فحرر شعبه من ربقة الاستعمار وأذنابه هو وزعماء أمته ومناضلوا شعبه الذي هب برجاله وأنسابه من وراء العرش العلوي والجالس عليه المغفور له الملك المجاهد محمد الخامس حتى رجع من منفاه حاملا معه وثيقة استقلال المغرب، وبعد رجوعه منتصرا هو ووارث سره وجناحه الأيمن في التضحية والجهاد وولي عهده آنذاك الحسن الثاني طيب الله ثراهما وأسرته الملكية غرة جبين هذا الشعب الذي يبادلها حبا بحب ووفاء بوفاء قال عند رجوعه منتصرا: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) جهاد استكمال الوحدة، وجهاد البناء والتشييد وتكوين أمة مزقها العدو وشتتها، وخيم الجهل والتفرقة في جميع جهاتها وبين فصائل أبنائها وهكذا فبعد أن تحرر جزء من المغرب بجهاد العرش والشعب بقي المستعمر جاثما بكلكله على مناطق شاسعة من هذا الوطن لم يسلمها.. وخيضت معارك بقيادة العرش العلوي المجيد خاضها مقاوموا هذا البلد الأشداء من فدائيين وأعضاء جيش التحرير المغربي وكان لمواقف أبناء الصحراء المغربية تأثير على المستعمر كغيرهم من أبناء هذا الوطن العزيز فانطلقت وفود الساكنة من الكويرة والداخلة وبوجدور والعيون والسمارة وطرفاية وطنطان وسيدي ايفني، وإن مؤتمر ام اشكاك سنة 1956م انطلق منه هو كذلك علماء وقادة واعيان الساكنة وتطارح الكل على الأعتاب الشريفة بتأكيد البيعة التي في أعناق الشعب المغربي للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه فتحقق للساكنة التي كانت آنذاك لم تلتحق أرضها بما تحرر من هذا الوطن، تحقق لها المثول بين يدي بطل التحرير جلالة المغفور له محمد الخامس وقال لها بالحرف: (لن نتنازل عن شبر من أرضنا حتى تتحقق الوحدة) وفعلا حققنا تحرير طرفاية وطنطان سنة 1958 بعد معارك خيضت مع المستعمر فكان النصر حليفنا، وعندما انتقل من نحتفي بذكراه حقق وارث سر أمير المومنين جلالة المغفور له الحسن الثاني تلك الوحدة المنشودة بالرغم مما حيك ويحاك ضدها ففي سنة 1969 حررت منطقة سيدي ايفني وفي سنة 1975 حررت المسيرة الخضراء السلمية القرآنية الصحراء وجعلتها تلك المسيرة التي حوربت ومازالت - جعلت الصحراء تسير في تقدم مستمر وتعيش بناء متحركا لا يعرف التوقف وفي عهد أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك محمد السادس عاشت نهضة عمرانية وعملا مدروسا أعطى وسيعطي للمنطقة وساكنتها ما كان يرجو لها من نخلد ذكراه جلالة المغفور له محمد الخامس وخليفته الموحد الباني جلالة المغفور له الحسن الثاني إن تخليد الأمة المغربية لذكرى هذا الرمز الذي تعتز الانسانية بسيرته وتاريخه وعمله الرائد إن هذا تخليد يترجم عما لنا من رصيد نضالي تحرري استفادت منه الشعوب العربية والإسلامية.

لكن العرش العلوي مفخرة في الدفاع عن الحق والمشروعية والشعب المغربي منارة في الوفاء والإخلاص للقيم المثلى يبادل العرش العلوي المجيد والجالس عليه حبا بحب ووفاء بوفاء.

أعاد الله هاته الذكرى العظيمة على جلالة وارث سر أجداده المنعمين أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس وهو يرفل في ثوب العز والنصر والتمكين مقرور العين بولي عهده سمو الأمير مولاي الحسن وبصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد وبجميع افراد الأمراء والأميرات انه سميع مجيب.

وجعل من نخلد ذكراه في أعلى عليين هو ووارث سره جلالة المغفور له الحسن الثاني مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

العربية وظاهرة التهميش

في التكبير أثناء الصلاة

في الوقف والابتداء

في القراءة والإقراء : هل يجوز الإدخال بلام التعريف

البعد الصوفي في كتاب البحر المديد في تفسير القرآن المجيد

صحبة القرآن

التفسير الإجمالي لسورة الأنعام

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

التجيبي في برنامجه يذكر شيوخه الذين التقى بهم في رحلته

■ في الحلقة الماضية ذكرنا أن التجيبي ترجم لمجموعة من شيوخه من علماء مكة الذين التقى بهم وأخذ عنهم في الفترة الزمنية التي تمتد من منتصف شهر رمضان المعظم لسنة: 696هـ إلى بداية سنة 697هـ، فقد أقام التجيبي بمكة مايزيد عن أربعة أشهر، وخلال هذه المدة جمع حصيلة من المعارف والمعلومات في مختلف مجالات المعرفة: حديثية، وفقهية، وتاريخية، وأدبية، وجغرافية، ودون ذلك في سجل رحلته بالإضافة إلى ماحصله قبل ذلك وبعده، وجمعه من مذكراته ابتداء من منطلقه بسبتة مرورا ببجاية والقيروان والاسكندرية والقاهرة ثم مكة والمدينة والقدس وغيرها من المدن والقرى التي نزل بها واتصل برجال العلم فيها...

فهو منذ بداية رحلته أخذ يسجل ويرتب مذكراته، فجاءت رحلته في ثلاثة مجلدات، المعروف منها الآن، المجلد الثاني، وقد اطلع عليها كاملة مجموعة من العلماء، كابن حجر العسقلاني، والشيخ أحمد بابا التمبوكتي، ومعناه أنها كانت موجودة كاملة في القرن التاسع والعاشر، وربما إلى مابعد ذلك، والأمل كبير في العثور على الجزءين المفقودين حاليا.

فالتجيبي بعد ما ألف رحلته واطمأن إلى تبويبها، وترتيب فصولها بدأ في عمل جليل آخر، وهو تدوين فهرسته العلمية التي سماها البرنامج، وقد رأى أنه من الواجب عليه أن يعرف بشيوخه الذين درس عليهم، وأن يسجل مراحل دراسته ابتداء مما تعلمه في طفولته وشبابه، ومابعد ذلك، وبرنامجه حافل بالمعلومات القيمة، سجل فيه مظاهر النشاط الفكري بكثير من البلاد الاسلامية خلال القرن السابع الهجري، فبالرغم مما عرفه هذا القرن من اضطرابات وتطورات سياسية، وبخاصة ببلاد المغرب والأندلس، بالرغم من ذلك ظلت الحركة الفكرية نشيطة ومتميزة، وهذا مانستفيده من برنامج التجيبي الذي ذكر فيه عددا من الشيوخ الذين ورد اسمهم في رحلته، وغيرهم، من العلماء والمؤلفين الذين انتفع بهم وبمؤلفاتهم، والذي تتجلى فيه بوضوح العناية الكبيرة بالدراسة والتأليف ولقاء الشيوخ، والاهتمام بالضبط والتصحيح والمقابلة بمنهجية دقيقة تميز بها علماء المسلمين وتظهر مبلغ حرصهم على الدقة في نقل المعلومات وتوثيقها، بالإضافة إلى الشروح والتعاليق والتوضيحات المناسبة لكل مقام وبخاصة في ميدان الفقه والحديث، والعلوم المتعلقة بالقرآن الكريم بجميع أنواعها، وفروعها وأصولها، وماجد فيها.

ويتجلى كذلك أن الدراسات الأدبية واللغوية نالت حظها الوافر، وكذا دراسة السيرة النبوية، وتراجم العلماء وسير النبلاء والصلحاء والزهاد...

وتميز هذا القرن كالذي قبله بالعناية الفائقة بالدراسات الصوفية الموسعة الشاملة للجوانب الروحية والوجدانية، وما يتعلق بالقلوب وتقلباتها، والغرائز وجموحها، ورياضة إصلاح النفس وكبحها...

وأراد التجيبي في برنامجه أن يتبع سنة شيوخه في توثيق مروياتهم، والتعريف بشيوخهم، وذكر العلوم التي أخذوها عنهم، وفي مقدمة برنامجه يقول: "أما بعد: فإنه لما كان جلتنا معشر فئة الحديث، وقدوتنا في القديم والحديث قد بينوا إلينا أن الرواية سبب الدراية، وقرروا لدينا أن الدراسة منقذة من الجهل والغواية، مفرقة بين الضلال والهداية، وكان أيضا كل واحد منهم أو جلهم قد ألف برنامجا جمع فيه مامن مروياته افترق، وبين فيه ماله من دواوين وطرق، رأيت أن أتعلق بأهدابهم، وأتمسك بأذيالهم، واستضيء بأنوارهم، وأقتدي بآثارهم، وأجمع برنامجا يضم ماحضر لي الآن ذكره مما قرأته أو سمعته، أو تلفق لي من النوعين جميعا، أو من أحدهما، مع مناولة لسائر ذلك المقروء أو المسموع، أو إجازة معها أيضا، أو مع أحدهما، وربما ذكرنا ماليس فيه إلا مناولة فقط، على أن ماوقع لي من ذلك نزر قليل، والله تعالى يهدينا إلى سواء السبيل".

فالتجيبي يعرفنا ببواعث تأليف برنامجه ودوافعه لذلك، وبقصده منه، ويطلعنا على منهجه فيه من ذكر مروياته ومسموعاته، وما أجيز فيه مع الرواية والسماع أو أحدهما، أو ماليس فيه، إلا المناولة فقط، وهذا النوع قليل. والمناولة عند المحدثين قسمان: ماقترن بالإجازة وهو الأهم، لتعيين المجاز، كأن يدفع الشيخ أصل كتابه أو فرعه المقابل للطالب، ويقول له هذا سماعي أو روايتي عن فلان، فاروه عني أو أجزت لك روايته، ويبقي الكتاب عنده.

ثانيا أن يحضر له الطالب الكتاب المسموع عن الشيخ فيقول له الشيخ هذا سماعي، أو روايتي فاروعني، وهي عند جماعة من المحدثين كالسماع. وأما ما ليس فيه من المجموعات إلا مجرد الإجازة فلم أعرج عليه، ولاثنيت عناني إليه، وإن كان إسنادي في ذلك المجموع في غاية القرب والوجازة، إذ في ذكر المأخوذ بها كثرة وطول، وكل طائل مملول، غير أني قد أتبع بعض المقروء والمسموع بإسناد آخر عال إن وقع لي بالإجازة، لكن العمدة على الطريق الأول في هذا المجموع..."

فالتجيبي يوضح طريقته في عمله، والمنهاج الذي اتبعه في برنامجه ليكون القارئ على بصيرة لقصد المؤلف، ويؤكد أنه ليس من أولئك الذين يتبجحون بالإجازات دون رواية ولا سماع، وإنما لمجرد القول أن فلانا أجازني، ويقول عنده الكثير من هذا النوع، لكنه لايريد التضخيم الذي ليس تحته طائل إلا أن تكون فيه فائدة فيذكرها بسبب تلك الفائدة.

وبرنامج التجيبي بالنسبة لدارس رحلته يسد فراغا كبيرا وبخاصة مع ضياع الجزءين الأول والثالث.

وقبل أن نتفرغ للكلام عن هذا البرنامج بتوسع إن شاء الله، أذكر أن التجيبي وهو يتحدث عن سنده في القرآن، أورد حديثا: "مع كل ختمة دعوة مستجابة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه، وأورد نص دعاء نسبه للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو: "اللهم إنا عبيدك، وأبناء عبيدك، وأبناء إمائك، تواصينا بيدك، ماض فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك اللهم بكل اسم هوللك، سميت به نفسك، وأنزلته في شيء من كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا، وشفاء صدورنا، وجلاء أحزاننا وهمومنا، وسائقنا وقائدنا إليك، وإلى جناتك، جنات النعيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين" قال: قال السخاوي: هو دعاء مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لتفريج الهم، وأنا أدعو به وأزيد عليه، اللهم اجعله لنا شفاء وهدى وإماما ورحمة، وارزقنا تلاوته على النحو الذي يرضيك عنا، ولا تجعل لنا به ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا دينا إلا قضيته، ولامريضا إلا شفيته، ولاعدوا إلا كفيته، ولا غائبا إلا رددته، ولاعاصيا إلا عصمته، ولافاسدا إلا أصلحته، ولاميتا إلا رحمته، ولاعيبا إلا سترته، ولاعسيرا إلا يسرته، ولاحاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضى، ولنا فيها صلاح إلا أعنتنا على قضائها في يسر منك وعافية، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اجمع على الهدى أمرنا، واجعل التقوى زادنا، واجعل الجنة مآبنا، وزدنا ولاتنقصنا واعطنا ولاتحرمنا، وأكرمنا ولاتهنا، وآثرنا ولاتؤثر علينا، وارض عنا واغفر لنا ولوالدينا، ولأمتنا ولمعلمينا، ومن سبقنا بالإيمان مغفرة وعزما برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين".

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

التجيبي أورد هذا الدعاء وهو يتكلم عن حفظه للقرآن الكريم في سن مبكرة، وانه قراه بعدة روايات على أشهر شيوخ القراءات ببلده، وأنه ختم عدة ختمات ولذا أورد (مع كل ختمة دعوة مستجابة) أورد هذا الحديث بسنده المتصل بشيوخه إلي يحيى بن هاشم عن مسعر، عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال بعد ذلك قال علم الدين السخاوي: روي عاصم بن أبي النجود رحمه الله عن زر بن حبيش قال قرأت القرآن كله في المسجد الجامع بالكوفة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فلما بلغت الحواميم قال يازر بن حبيش بلغت عرائس القرآن فلما بلغت رأس العشرين من حم عسق، والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم مايشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير" بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يازر أمن على دعائي، وأخذ يدعو رضي الله عنه وزر يؤمن..." التجيبي يوكد بهذا بأن له سندا في الدعاء بعد تلاوة القرآن الكريم، وإلى حلقة أخرى بحول الله.

الصرف والصروف

تحتل مادة (ص. ر. ف) في المعاجم العربية حيزا كبيرا حيث تورد لها معاني كثيرة تدور كلها حول التحول والتغيير.

ففي لسان العرب نجد ابن منظور يخصص للمادة حوالي خمس صفحات ويسوق لها ولأوزانها المتعددة، معاني يبدأها بقوله: الصرف رد الشيء عن وجهه. ويسوق ماورد من استعمال المادة في القرآن الكريم والحديث الشريف واشعار العرب.

ويذكر من ذلك (الصرفان) بالتثنيه بمعنى الليل والنهار، وأن (صروف) الدهر بالجمع هي حدثانه ونوائبه. وهذا المعنى هو الذي يهمنا هنا والجدير بالذكر أن كثيرا من العلوم والحرف اشتقت مصطلحاتها من المادة. وأشهرها علم الصرف (قرين النحو) وصرف النقود ونجد في علم الفلك (الصرفة) بكسر الصاد) التي تعني منزلة من منازل القمر في دورانه ولاننسى مصطلح (الصرفة) المعروف لدى المعتزلة الذي عيروا به عن مذهبهم في إعجاز القرآن.

المقصود أن العرب تستعمل كلمة الصروف لما يطرأ على الانسان من عوارض أو ماعبر عنه ابن منظور في اللسان بحدثان الدهر ونوائبه، حيث وردت الكلمة كثيرا في كلام البلغاء شعرا ونثرا. ولكنها غابت عن الاستعمال في العربية الحديثة وحلت محلها كلمة أخرى على وزنها هي الظروف (بالظاء) التي يكثر ترديدها اليوم للدلالة على الطوارئ التي تنزل بالانسان فتصرفه عن مراده.

وهي لهذا المعنى دخيلة على العربية لأن الظرف والظروف حسب المعاجم هو الوعاء أو الأوعية ومنه ظرف الزمان وظرف المكان المعروفان في النحو، لأنهما وعاء لأفعال الناس التي لاتنفك عن زمان ومكان.

ولاندري يقينا كيف تسللت كلمة (الظروف) بهذا المعنى إلى العربية الحديثة. وإذا لم تكن ناتجة عن الترجمة الفاسدة، فإن من الراجح أن تكون ناتجة عن التصحيف والتطبيع تحولت به الصروف (بالصاد) إلى الظروف(بالظاء)، وهو احتمال غير بعيد وله نظائر منها كلمة (القنبلة) المستحدثة للدلالة على السلاح الناري المشهور، من غير أن يكون في العربية أصل يمكن ارجاعها إليه فاستنتج بعض الباحثين أن الكلمة كانت في الأصل قنبرة (بالراء) وهو الاسم الخاص بذلك الطائر المشهور، استعير لهذا السلاح الفتاك لما بينهما من تشابه في الهيئة والحركة. ولكن التصحيف أو التطبيع حول راءه إلى لام فصارت الكلمة إلى ماهي عليه اليوم.

المقصود أن الصروف (بالصاد) هي الكلمة التي يجب استعمالها بدلا من الظروف، لأنها هي المستعملة من قديم في المعنى الدال على الأحوال والعوارض التي تعود الناس أن يشكوا منها ويلقوا عليها اللوم كلما خابوا في سعي أو خسروا في صفقة.

الوثاق

في القراءة والإقراء: هل يجوز الإدخال بلام التعريف

للعلامة محمد بن عبد السلام الفاسي

■ الأستاذ: إدريس كرم

سئل كاتبه محمد بن عبد السلام الفاسي لطف الله به بمنه في قطعة كاغد بها حاصله:

هل يجوز الادخال في لام التعريف؟ وإذا قلتم بالمنع فهل تمنعونه إذا كان أحد موضعي الخلاف منفصلا والآخر لام التعريف نحو ألم نجعل الأرض مهادا الآية؟.

■ قال أجيبوا بنص صريح، قال وأخبرني بعض تلامذتك انك تبسمل لكل قارئ في ابتداء السورة، ولا تكتفي بالبسملة الأولى، فهل ذلك كذلك؟ وهل يجوز الاكتفاء لمن أراده؟ قال وإذا قرأ قارئ قوله تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فهل له أن يردف عليه الكسائي وخلاد.

امن قوله فأولئك، وهل البادي بالشيء مقدر لا وقوف على ما قبله، أو غير مقدر له، أو مقدر له في فواتح السور وغيرها، قال وكيف تقرأ قوله تعالى فحدث ألم نشرح للبصري والشامي وحمزة، فإن بعض الطلبة يزعمون أن الشامي وحمزة إنما يقرآن الوصل دون السكت انتهى.

❖❖❖

والجواب بعون الله أن الادخال في لام التعريف تكون الآية فيه على وجهين، أحدهما ألا يكون بين الراويين خلاف آخر، كالآية التي في سؤالكم وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم الخ فهذه يجوز فيها وفي أمثالها الادخال بلا نزاع، لكنه ينبغي لا أن يوالي بين السكتين في ذلك ليقل الفصل، وتكون قراءة خلف موصولة، فلو توالى فيها القالونيتان للزم الفصل لخلاد بين سكتين بقالونيته، ولخلف أيضا بقالونية خلاد، وربما قيل انه على هذا الوجه أجنبي، وفصله مضرب بالنسبة إلى قراءة خلف، وإن لم يعتبر فيه أنه أجنبي، فالفصل لدا خير من الفصل لدا وبين إذ الأصل في هذه المقارئ أن يقرأ لكل واحد على حدته، ولما أريد الاختصار فإذا أمكننا الأصل فلا نعدل عنه فصل والخروج على الأصل.

❖❖❖

ومثل الخلاف في لام التعريف في موضع آخر سابق ولاحق نحو قوله تعالى ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما أنزل إليكم من ربكم، وللقاري أن يختص أحدهما، بخلاف آخر كما في قوله تعالى: إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آية البقرة، فإنك إذا قرأت لغير حمزة، وأردت أن ترددفه، قرأت لخلاد على التداخل قوله، وما أنزل، فإنك إذا قرأت لخلاد وما أنزل لأنه بناء على قالونية كلمة الأرض التي في أول الآية ثم رجعت إليها فسكتت عليها ثم استمررت إلى قوله فأحيا به الأرض فسكتت عليه واستمررت إلى قوله لقوم فقد واليت بين السكت لخلاد.

❖❖❖

نرجع إلى كلمة الأرض التي بعد فأحيا فتقرأ له فيها القالونية، ثم تستمر إلى يعقلون، ثم تعود قراءة خلف، فتقرأ له بالسكت من قوله الأرض بعد موتها بناء على السكت الذي سبق في كلمة والأرض لخلاد، لكنه قد يتوهم أنه حيث قرئ لخلاد بالقالونية بعد ذلك السكت في قوله الأرض بعد موتها إلى يعقلون تكون تلك القالونية رافعة لحكم السكت السابق ويصير خلفا في الظاهر على هذا التوهم قاريا بالسكت على قالونية والأرض المعتبرة في عطف قالونية الأرض بعد موتها ولمثل هذه الشبهة كنت بينت له بين يدي شيخنا رحمه الله في مثل هذه الآية، واقرأ به في مثل الآية الأخرى ونظير آية البقرة آية الأعراف فسأكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة وغيرها، وكان شيخنا رحمه الله لا يردني وكان الطلبة يقرءون بين يديه بالإدخال في تلك المواضع كلها، وكان لا يرد عليهم، وصبره لهم على ما يفعلونه ظاهر بين الوجه، لأن مثل الشبهة التي بينت لك سابقا، وارد في الأرداف كثيرا، وانظر إلى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها، فإنك إذا قرأتها للصاحبين ونافع فقرأت لورش ثم عدت لتقرأ لغيره، فإذا قرأت لقالون واستمررت إلى قوله بيوتكم ثم أردفت عليه الدوري ثم قرأت لهما بالقصر ثم بالإشباع في قوله على أهلها ثم أردت أن تقرأ للسوسي ثم للمكي يقال لك إنك حيث قرأت الإشباع واعتبرت أنه مبني على إشباع يايها كنت رافعا للقصر والجواب إنما ذلك اعتبار محض وتقدير، والذي في أيدينا محققا الآن في يايها هو القصر، وباعتباره نعطف السوسي والمكي فكذلك القالونية معتبرة اعتبارا محضا ومقدرة تقديرا ليس غيره، والمحقق في أيدينا في كلمة والأرض هو السكت باعتباره نعطف خلفا وهو بين لا خفاء به، وأمكنت احتج لما قرأت به بين يدي الشيخ رحمه الله واسمع ممن يريه الوجه الآخر قراءته ولا أراها عليها والله اعلم بهذا.

❖❖❖

حكم ما إذا كان الخلاف للراويين معا في الموضعين معا كالآية التي ذكرت في سؤالك، فإن كان الخلاف في أحد الموضعين لأحد الراويين فقط وفي الآخر لهما كقوله تعالى: "ألم نجعل الأرض مهادا" آية النبأ التي ذكرت في سؤالك فما يصح الإدخال، لأن الإدخال إنما يكون حيث يكون خلاف الموضعين خلافا واحدا، فيبني أحد الخلافين على الأخرة أما إذا كان الخلافين متغايرين فلا يصح بناء أحدهما على الآخر والله تعالى أعلم.

❖❖❖

وكذلك لا يجوز أن تعمل التداخل في قوله تعالى: "قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض"، ولا في أمثال ذلك من آيات القرآن وهذا بين والله تعالى أعلم، وأما ما ذكرت من مسألة المد سبق تقريره في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا" الآية كاف إن شاء الله، هذا ما عنده، وطلب النصر في هذا من طلب وجود غراب أبيض في الدنيا وخاصة الصريح في عين النازلة، لأن سلفنا رضي الله عنهم لم يكونوا آخذين بهذا الأرداف إلا أن يراد بعبارة واضحة في المراد، واقر لي بذلك أيضا، وإنما هو تخليط وتهويس على من لم يعرف قدره من الناس، والله المسؤول أن يلحفني رداء ستره الجميل بمنه.

❖❖❖

وأما ما ذكر عن بعض تلامذتي من قوله عني أني أبسمل لكل قارئ كلما ابتدأت برأس السورة، فقد صدق تلميذي علي جزاه الله عني خيرا وحفظه.

❖❖❖

إني أفضل ذلك وأراه متعينا، فإذا قرأت مثل قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم أتى أمر الله أو المص أو المرا وكهيعص مفتتحا بهذه أو مر بها لأصحاب البسملة فإني أقول في الاستفتاح بالسورة الأولى مثلا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم واقفا عليه ثم أبسمل واقفل عليها، ثم أقرأ لورش ثم أعوذ لقراءة قالون فأبسمل له واصلا لها ثم أقرأ له الإشباع ثم أعوذ فابسمل، واصلا لها، وأقرأ له القصر، ثم أعوذ للشامي وعاصم فابسمل لهما واصلا لها وأقرأ لها، ثم أعوذ لقراءة حمزة فأبسمل له واصلا لها أيضا ثم أقرأ له، ثم أعوذ للكسائي فأبسمل له وأقرأ، وهكذا أفعل برأس كل سورة ابتدأت بها.

❖❖❖

وحاصل الأمر إني كلما تلفظت بأول حرف من السورة لأي قاري كان أبسمل لقول الشاطبي رحمه الله ولابد منها في ابتدائك سورة سواها الخ.

❖❖❖

وهو الذي ذكره في النشر وهو المروي عن ابن غازي وعن ابن القاضي خلاف ما روى عنه أبو عبد الله الرضي السوسي من أنه كان يكتفي بالبسملة الأولى وكان الطلبة يقرأون بين يدي شيخنا رحمة الله عليه ولا يردهم، والذي قرأت به عليه العود إليها لكل قارئ، وهو الذي ذكره أبوه رحمهما الله، وهذا الذي ذكره أيضا الحامدي في كتاب أنوار التعريف عن شيخه أبي محمد بن عاشر ونصه من الكتاب المذكور:

تكميل

حدثنا الشيخ عن بعض مشايخه، وكذلك شيخنا سيدي عبد الواحد بن عاشر الأندلسي عن بعض مشايخه أن القارئ إذا ابتدأ سورة، وفي مبدئها لم يبسمل، فابد له من البسملة مع كل وجه لا تكفي الأولى، وعليه المتعلم الذي يدرس لوحته إذا كانت مبدوءة بالسورة فلابد من البسملة مع كل عودة. انتهى، هذا هو الحق الذي لا معدل عنه، ويكفينا نص الشاطبي رحمه الله.

❖❖❖

ونص صاحب التيسير رحمه الله، وهو ولا خلاف في التسمية في أول فاتحة الكتاب، وفي أول كل سورة ابتدأ القارئ بها، ولم يصلها بما قبلها في مذهب من فصل ومن لم يفعل اهـ.

❖❖❖

وإذا كانت النصوص ناقصة على العود إلى البسملة لكل قارئ كما سمعت فلا يجوز تركها، لكن بالمنع الأدائي الذي يتلى عليها القرآن في صناعة الأداء لا المنع الشرعي الذي يأثم مخالفه، لأن التسمية في ذلك حكمها في الشرع الاستحباب، وترك المستحب لا إثم فيه، على أنها لو كانت من القرآن اتفاقا وتركت في التلاوة، ما اثم تاركها كسائر آيات القرآن، لأن تلاوة جميع آياته واجب على الكفاية، فلا يتعين على أحد.

❖❖❖

وأما هل البادي بالشيء مقدر الوقوف على ما قبله، فاعلم أن الذين تكلموا على أحكام الوقف والابتداء قالوا كل ما لا يجوز الوقف عليه لا يجوز الابتداء بما بعده، ونقض لهم القاعدة العلامة بهاء الدين السبكي قائلا: انه لا يلزم من عدم صحة الوقوف على شيء، عدم صحة الابتداء بما بعده، بل يبتدئ بالشيء من غير أن يصح الوقوف على ما قبله، كما نقله العلامة ابن عاشر في فتحه على الدماميني عنه.

❖❖❖

واستدل على ذلك بما ليس هذا محل ذكره، فالينظره مبتغيه في فتح المنان، وإذا صح أنه لا يلزم من صحة الابتداء بالشيء صحة الوقوف على ما قبله، فيتخرج على ذلك وجوه منها مسألة سؤالك وهو إذا ادغم القارئ ومن لم يتب فأولئك للبصري فهل يجوز له أن يعطف الكسائي وخلادا من قوله فأولئك، والجواب نعم يجوز وانتم تقرأون بمثله، ألا ترى أنك إذا قرأت للحرميين من قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فقرأ لورش ثم لقالون عطف عليه المكي من قوله تجرتهم وتاؤها مدغم فيها تاء ركبت إلى غير مسألة تتفرع على هذا الأصل، ولا فرق بين الإدغام المتفق عليه والمختلف فيه.

❖❖❖

هذا هو الحق، وكان شيخنا رحمه الله يرى أن الابتداء بالشيء يستلزم الوقف على ما قبله في فواتح السور خاصة والحق أنه لا يستلزم مطلقا.

❖❖❖

وأما قوله تعالى فحدث ألم نشرح لحمزة والشامي فتخبط الطلبة فيهما تخيل فاسد نشأ عن فهم قاصر وذلك أن الشامي وحمزة اتفقا مع أبي عمرو على السكت والوصل في قوله تعالى فحدث ألم نشرح، واختلفا معه فيما بعد ذلك، فقرء لهما لوجهان في فحدث، ثم استمر إلى موضع اختلافهما معه، فقرء له فلما فرغ منه قرء لكل منهما على الوجهين السابقين وليس التلفظ له في موضع الخلاف، أولا بدافع حكم الوجهين، ألا ترى إلى قوله تعالى يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا، إذا قرء لنافع

❖❖❖

فقرء لورش، ثم لقالون، واستمر إلى قوله تعالى كدحا وأبو عمرو متوافق مع قالون فيما قيل إنك كادح ومختلف معه فيه، فلما قرء لنافع بالإظهار ولم يكن ذلك رافعا للوجهين في يانيها حتى صح عطف البصري على قالون من قوله انك كادح الذي هو محل الخلاف بينهما، فأبو عمرو هنا كالشامي وحمزة في فحدث.

❖❖❖

فإن قيل انهما لم يقرأ إلا الوصل في فحدث قيل أن أبا عمرو لم يقرأ إلا القصر في يايها وانتم لا تقولون به، وإذا قلتم به أبطلتم صناعة الأرداف فيما لا يحصى كثرة من الوقفيات، ثم ما تقولون في قوله تعالى فارغب، والتين بالنسبة إلى الشامي، وفي قوله تعالى والذين هم محسنون إذا قدمتم ورشا ثم أردفتم عليه البصري، ثم أردفتم عليه الشامي مما تقولون في أمثال هذا، وكذا سورة والشمس وضحها وسورة فاطر إلى ما لا يحصى كثرة من أمثال ذلك مثل سورة والنجم أو فإن كان المتخيل تخيل أن حمزة يسكت على فحدث لأجل الهمزة وغيره يسكت عليه السكت الذي بين السورتين فليس السكتان سكتا واحدا.

❖❖❖

فالجواب أن صاحب النشر نص على أن السكت في ذلك شيء واحد، قال ولذلك اخرج حمزة مع ورش في نحو واقترب، انا أنزلناه، وكما قال، وبهذا تأخذون، والحاصل أن المتخيل الواقع لكم في أمثال ذلك تخيل فاسد مما لا معنى له والسلام.

❖❖❖

انتهى وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى من خط الشيخ رضي الله عنه.

تابع ص6و7

الحديث الثاني العاشر والمائة: صحبة القرآن: آداب وفضائل

في ظلال الحديث:

نص الحديث:

قال أبو امامه الباهلي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه..." رواه مسلم.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن ح1910، وأحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أمامة الباهلي 249/5، والبيهقي في سننه، كتاب الصلاة، ح:4227.

سند الحديث:

هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه، فقال: حدثني الحسن ابن علي الحلواني حدثنا أبو توبة. وهو الربيع بن نافع. حدثنا معاوية. يعني ابن سلام. عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول حدثني أبو أمامة الباهلي وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

الحسن بن علي الحلواني: هو أبو محمد الحلواني الحافظ الإمام الحسن بن علي ابن محمد الخلال محدث مكة، حدث فأكثر وصنف وتعب في هذا العلم، قال إبراهيم ابن أورمة بقي اليوم في الدنيا ثلاثة الذهلي بخراسان وابن الفرات باصبهان والحلواني بمكة، حدث عنه الجماعة سوى النسائي. قال أبو داود: كان عالما بالرجال ولايستعمل عليه وقال يعقوب بن شيبة: كان ثقة ثبتا متقنا، مات في ذي الحجة سنة 242 رحمه الله تعالى.

أبو ثوبة. وهو الربيع بن نافع.: هو أبو ثوبة الحلبي الحافظ الحجة الربيع بن نافع شيخ طرسوس ومحدثها قال أبو حاتم ثقة صدوق حجة وقال أبو داود كان يحفظ الطوال يجيئ بها، توفى في سنة 241 رحمة الله عليه.

معاوية. يعني ابن سلام.: هو أبو سلام معاوية بن سلام وهو ابن أبي سلام ممطور الحبشي الأسود الألهاني كان بحمص ثم انتقل إلى دمشق، روى عن جده أبي سلام وعن أخيه زيد وغيرهم كثير، قال يحيى ابن معين أعده محدث أهل الشام ومن لم يكتب حديث معاوية بن سلام مسنده ومنقطعه حتى يعرفه فليس هو صاحب حديث، قال الدارمي: جيد الحديث ثقة وقال أبو حاتم: لابأس بحديثه وقال النسائي: ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات روى له الجماعة.

زيد: هو زيد بن سلام بن أبي سلام واسمه ممطور الحبشي الدمشقي أخو معاوية بن سلام وكان الأكبر. قال أبو زرعة الدمشقي ويعقوب بن شيبة والنسائي والدارقطني ثقة زاد يعقوب صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات.

أبو سلام: هو أبو سلام ممطور الأعرج الحبشي الدمشقي، قال العجلي شامي تابعي ثقة، وذكره بن حبان في كتاب الثقات روى له الجماعة.

أبو أمامة الباهلي: هو أبو أمامة صدى (بالتصغير) بن عجلان بن الحارث الباهلي مشهور بكنيته، صحابي، قال ابن حبان كان مع علي بصفين، كان رضي الله عنه يقول: "لما نزلت (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قلت يارسول الله: أنا ممن بايعك تحت الشجرة. قال أنت مني وأنا منك" توفي رضي الله عنه في أرض حمص، سنة 86، وهو ابن 33 سنة، روى له الجماعة.

أهمية الحديث:

هذا حديث ذو أهمية بالغة وخاصة، من خلاله يحث نبي الهدى ويبشر أولي النهي من أمته، حتى يكونوا من أهل القرآن فيتميزون عن غيرهم بالبشرى العظيمة الواردة في هذا الحديث وهي أن الله تعالى يمنحهم شفاعة القرآن...

مفردات الحديث:

"شفيعا": أي شافعا طالبا المغفرة لأصحابه.

"لأصحابه":أي القارئين له والعاملين بأحكامه وهديه.

المعنى العام

1. تقديم: من أعظم النعم التي حبا الله بها أهل الإسلام هذا الكتاب المجيد، المبارك، الحكيم، المبين، (الذي يهدي للتي هي أقوم) (بصائر من ربكم) و (موعظة وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين).

وقد عد النبي صلى الله عليه وسلم التمسك بالقرآن من أعظم أسباب السعادة في الدنيا كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه: "إن الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقواما ويضع به آخرين" (عند مسلم)، كما انه سبيل للفوز والنجاة يوم القيامة، كما جاءت البشرى العظيمة في الحديث الذي نحن بصدده، كيف لا وقد اعتبر القرآن تلاوته (تجارة لن تبور)، وبين النبي (ﷺ) أن ذلك من أعظم النعم والقربات التي يغبط عليها المؤمن، فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما، كما في الصحيحين، عن النبي (ﷺ) قال: "لاحسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار" وحسب المرء دلالة على جلالة شأن القرآن. تعلما وتلاوة وتعليما. ماأرشد إليه النبي (ﷺ) من كون ذلك منتهى الخيرية، كما جاء في حديث ذي النورين عثمان رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

ويزداد الكلام عن القرآن الكريم قيمة وشأنا في شهره، فنحن كما هو معلوم نعيش أياما وليال ليست كغيرها، أيام الصيام ولياليه القيام والقرآن، في هذه الأجواء الربانية، يحلو ويعذب أن نتكلم عن القرآن الكريم وأهله، راجين منه سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الذين يقرؤونه ويتلونه حق تلاوته، فنكون بفضله ومنته من الفائزين يوم نلقاه...

2. عظمة شأن قارئ القرآن:

واعتبارا لما سبق نجد صاحب القرآن مقدما في زمن الصحابة رضي الله عنه سواء في الإمامة أو في الشورى، كما روى الإمام مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يؤم الناس أقرؤهم لكتاب الله تعالى" وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولا وشبابا"، وروى البخاري أيضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي (ص) كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد، ثم يقول: "أيهما أكثر أخذا للقرآن؟"فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد.

3. آداب صاحب القرآن:

× أن يخلص النية لله: بأن "يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى، دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب لمحمدة عند الناس، أو محبة، أو مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى" (كما ذكر النووي في التبيان)، بحيث يستوي الظاهر والباطن، فلا يعمل المرء شيئا رئاء الناس، ولايتركه مراعاة لهم، بل يكون السر عنده كالعلانية، ويكون الإخفاء لديه بمثابة الإظهار، كيف لاوقد ذكر النبي (ﷺ) أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة من المرائين منهم حافظ القرآن ليقال: قارئ، وقد قيل.

× أن يقرأه بنية العمل به، والتخلق بأخلاقه، كما قالت أمنا عائشة رضي الله عنها في شأن النبي (ﷺ):"كان خلقه القرآن". وأن يتمثل وصية ابن مسعود رضي الله عنه لصاحب القرآن: "ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون".

× أن ينظف فاه بالسواك أو غيره مما هو معروف ويقوم مقامه، يستوي في ذلك شهر رمضان مع غيره على الصحيح.

× يستحب أن يقرأ وهو على طهارة. فإن قرأ محدثا حدثا أصغر جاز بإجماع المسلمين. أما مس المصحف فلابد له من الطهارة على الراجح.

× يندب أن تكون القراءة في مكان نظيف، وأحسن الأماكن بيوت الله، مع استحباب أن يعمر الناس بيوتهم بالقرآن وسائر الأذكار كما أمر بذلك النبي المختار...

× يستحب للقارئ استقبال القبلة، فإن لم يستطع فلا شيء عليه.

×يندب للقارئ أن يجلس منكسرا ذليلا بين يدي مولاه، في سكينة ووقار، مطرقا رأسه بحيث "يكون جلوسه وحده. في تحسين أدبه وخضوعه. كجلوسه بين يدي معلمه" (التبيان)، مع جواز القراءة في حال القيام والقعود وعلى الجنوب.

× أن يستعيذ من الشيطان الرجيم، فإن هذا مستحب، وقيل: واجب، لقوله تعالى: (إذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وأن يبدأ بالبسملة.

× أن يتدبر الآيات، ويخشع عند التلاوة، ويستحضر مناجاة المولى سبحانه، فيا فوز من انسكبت على خديه العبرات!إذ الآيات تذكره بشؤم المنكرات، وغدا يرفع لواء لصاحب الغدرات. وقد كان سعيد ابن جبير رحمه الله لايمل من ترداد قوله تعالى:(ما غرك بربك الكريم). فالبكاء كما قال النووي رحمه الله: "صفة العارفين، وشعار عباد الله الصالحين، وقد بكى النبي (ﷺ) عند قوله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)، وقالت عائشة في وصف أبيها رضي الله تعالى عنهما: "إن أبا بكر رجل رقيق".

× يستحب أن تكون القراءة علي تؤدة وترسيل وترتيل كما قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عند قوله تعالى: (ورتل القرآن ترتيلا).

× يستحب الدعاء أثناء القراءة، فيسأل القارئ من فضل الله إذا مر بآية رحمة، ويستعيذ عند آيات العذاب والوعيد، فقد روى مسلم أن النبي (ﷺ) "إذامر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ".

× ويستحب اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة، إلا كلاما يضطر إليه، كما يكره العبث والنظر إلى مايلهي.

×يندب التوسط في رفع الصوت بالقرآن امتثالا لقوله تعالى : "ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا".

× يستحب تحسين الصوت والتغني بالقرآن، فقد أثنى النبي (ص) على أبي موسى رضي الله عنه بقوله: "لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود".

× ومن آداب صاحب القرآن أن يكثر من تعهده، ويجعل له وردا لتلاوته بحيث "لايخلي يوما من أيامه من النظر في المصحف... فيعطي عينيه حظهما منه... فإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأداء. وذلك أوفر للأداء".

×ومن آدابه أن يتحين ذكره في الأوقات المباركة، (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا. ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا).

× ويجب على صاحب القرآن أن يرفع المصحف ويعظمه، فلا يضعه على الأرض و"لايتركه منشورا"، ولايجعل فوقه كتابا أو متاعا، لأنه كلام رب العالمين الكبير المتعال الذي يعلو ولايعلى عليه.

× ويلزم صاحب القرآن أن يجنب المصحف مواطن الخبائث، ومن حرمته أن لايقرأ في الأسواق ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء.

× ومن آداب صاحب القرآن أن يعتمد في تدبره على العلماء الراسخين امتثالا لأمر الله تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون)، فلا يفسره بالجهل والهوى، فيضل عن سبيل الله.

وإلى اللقاء في الحلقة المقبلة مع الجائزة الكبرى لصاحب القرآن....

حديث المنابر

القرآن الكريم

■ إعداد الأستاذ: عبد الله الطلبي كدية

الخطبة الأولى:

الحمد لله، الحمد لله رب العالمين، الحمد لله القائل مخاطبا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: "وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا، ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان" سبحانه لا إله إلا هو تحدى بكتابه المبين الإنس والجن...: "...لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه الذي كان خلقه القرآن.

أيها المؤمنون! إن البشرية اليوم في أشد الاحتياج إلى مصدر ثقة للوحي يأخذه الإنسان بلا تحفظ، فيصحح له أخطاءه، ويبين له السبل الواضحة لمسيرته القصيرة إلى الله في دنياه الفانية هذه... وهذا الوحي هو القرآن، نعم أيها المؤمنون؟ هو القرآن، هو القرآن الذي جعل الله عز وجل فيه من المعجزات مالا يبقى معه شك في أنه وحي منزل من عند الله جل جلاله، ومن إعجاز هذا القرآن إحاطته بكل الوحي السابق بحيث إنه يشمل كل الوحي الذي نزل على الأنبياء جميعا قبله، وهو يزيد على ذلك بأنه يشمل أيضا كل ماتحتاجه البشرية في سيرها إلى الله إلى قيام الساعة، وقد وعد الله عز وجل بحفظه من التغيير والتبديل لتبقى الحجة قائمة به إلى يوم قيام الساعة.. أيها المؤمنون ! القرآن الكريم إذن فيه تراث الأنبياء كلهم وزيادة، ومن ثم فإن الإسلام الذي جاء به القرآن هو الصيغة الوحيدةللحق المبين الصافي المنزه،وهو بالتالي الصيغة الوحيدة التي يجب أن يلتزم بها الإنسان ليكون حقا مطيعا لله، منفذا لأوامره، مجتنبا نواهيه...

أيها المؤمنون! كيف نقرأ القرآن؟ كيف نلتزم بالقرآن؟كيف نعيش مع القرآن؟ كيف لانتخذ هذا القرآن مهجورا؟

القرآن أيها المؤمنون روح.. روح من أمر الله.. وللروح آثارها في الحياة، ومن آثار الروح: النمو والقوة والسمع والبصر... والقرآن حياة لقلوب المؤمنين، به تنمو وتقوى، وتسمع وتبصر، فعلينا نحن المؤمنين، على كل واحدمنا مهما كان مستواه الاجتماعي أو العلمي أن يسعى لالتماس هذا الروح القرآني، وأن يعمل لإيجاد الصلة بين القرآن وقلبه، إنك أيها المؤمن إن وفقك الله في تمتين الصلة بين قلبك وهذا القرآن الكريم فستسري تباراته وإشراقه في كيانك كله، فتحس بالحياة والقوة والنور والخشية والحنان تملأ وجودك كله.. وآية واحدة من كتاب الله كفيلة بكل هذا لو أحسنا الاتصال بها، وأنا أعني ما أقول: إن التحقق بآية واحدة من كتاب الله كفيلة بكل هذا لو أحسنا الاتصال بها وتحققنا بمعناها سلبا وإيجابا، ائتمارا وانتهاء، عملا واعتقادا، والتزاما بتكاليفها في غير تهاون ولا رخاوة... أيها المؤمنون!إن مخالطة روح القرآن لخفايا القلب يحيي الإنسان ظاهرا وباطنا ويجدده وينيره... القرآن أيها المؤمنون حبل الله المتين كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، طرفه بيد الله، وطرفه الآخر بيد الناس، فأي جزء أخذنا منه بقوة وجد سرى سريا إلى القلوب فارتجفت به وحيت، وتدبروا معي أيها المؤمنون هذه الآية الكريمة : "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله".

أيها المؤمنون ! ليس المعول عليه في إحياء القلوب مقدار مانقرأ من القرآن، إنما هو كيف نقرأ القرآن، وهذه بعض وصايا في كيفية قراءة كتاب الله وتدبره:

1. اقرأ كتاب الله بتأمل وتدبر ووقوف على كل عبرة ومعنى... ويجب أن تكون القراءة في خلوة هادئة، ولاسيما خلوات الليل حيث يشف القلب، وتنكشف أغطية النفس.

2. سل نفسك قبل قراءة القرآن، هل هواك مع الله أو مع الدنيا؟ فانشغال القلب بمشكله أو مشروع مالي حجاب، وانشغال القلب بأمر من أمور الأولاد أو الزوج عند القراءة حجاب... وإعجاب المرء بعلمه أو ذكائه أو صلاحه أو قوته أو جاهه حجب كثيفة ثقيلة، وميل الطبع إلى شيء مما حرم الله حجاب...و الحسد والحقد والرغبة في نزول الأذى والمصيبة بمن نكره حجاب... هذه أيها المؤمنون موانع وحجب يبتلى بها قلب المؤمن فتحول بينه وبين وصول روح القرآن إليه.

فعليك ياأخي المؤمن أن تعرف في صراحة تامة . بينك وبين نفسك . هل بينك وبين القرآن حجاب من هذه الحجب أم لا ؟والمقياس أمامك، هو الفطرة السوية التي فطرك عليها هو القرآن نفسه، فأنت وشأنك "ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بيتة" "وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا، وجعلنا على قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا".

أيها المؤمنون ! حياة القلوب هي كل شيء، وأنتم طلاب حياة، فلا تبخلوا بأي جهد يجعلكم من الأحياء مهما شق عليكم، والمؤمن الحق يحمل رسالة لاينهض بحقها إلا القلب الحي. والمؤمن الحق دائما في رحلة إلى الدار الآخرة، هذه الدار الأخرة لاينفع فيها مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فجرد قلبك من هذه الأهواء ياأخي المؤمن... فأنت حينئذ . وأنت تقرأ القرآن . ستدرك وتحس وتحب وتكره وتبكي وتخشع، وستعرف حقا أنك في روضه من رياض الجنة...

3. أيها المؤمن! وأنت تقرأ القرآن استحضر عبوديتك لله عز وجل، استحضرها حقيقة لامجازا، استحضرها شعورا قويا، يريك انقياد العبد لسيده الكبير العظيم.. وكن في حالة كحالة المرؤوس الذي يريد أن يدخل على رئيسه الصارم القوي، ركزه كيانك كله في أذنيك لتسمع ماسيقال لك، وفي قلبك لتتلقف ماسيلقى إليك...اجعل لأمر الله ونهيه وقعا في قرارة نفسك لايدانيه وقع كلام آخر... وهذه الحالة تكتسب أيها المؤمنون بالممارسة والتدريب، وهي بلا شك موصل جيد لروح القرآن إلى قلب الإنسان.

4. إن استحضارك أيها المؤمن لعبوديتك لله تعالى بصفة جدية حقيقية عند قراءة القرآن، يعودك نهضة سريعة إلى تنفيذ أوامر مولاك، وتنفيذ الأمر ما هو في الحقيقة إلا تفسير عملي له. الأمر الذي يكسب المؤمن المنفذ فقها في كتاب الله لاينالـه النظريون الواقفون عند حدود التلاوة النظرية. ثم إن تنفيذ أوامر الله في كتابه إن هو إلا محاولة شاقة متعبة لتطبيق تكاليف عجز عنها الكثير العديد من الناس، ولكنك أيها المؤمن الكريم حين تعود نفسك على العيش في رحاب القرآن يوميا وتروضها على تنفيذ أوامره وتحمل المشقة في ذلك بدون تهاون أو رخاوة فإنك حينئذ تحدث حالة من الاستعداد واليقظة في قلبك، ومن التنبه في وعيك، وهذا يزيد في فهمك لكتاب الله ويوقفك على الكثير من أسراره ومعانيه...وبدون التنفيذ السريع اليقظ الواعي لأوامر الله في كتابه تكون الأعصاب بليدة فاترة وملكات النفس غافلة راكدة، وإنسان هذه حاله من الركود والجمود لايصلح أبدا لمطالع روح القرآن الكريم.

فاللهم إنا عبيدك أبناء عبيدك أبناء إمائك في قبضتك نواصينا بيدك، ماض فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن نور صدورنا وربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي جعل تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار، وأشهد أنه الله الواحد الأحد الفرد الصمد الحي القيوم، جعل من هذا القرآن مأدبة كريمة، وأمرنا على لسان رسوله أن نقبل على مأدبته ماستطعنا، وجعل من هذا القرآن حبل الله ونوره المبين وشفاءه النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه... وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أمرنا صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن فقال: اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات .. أما إني لا أقول لكم ألم حرف، ولكن ألف ولام وميم".

وفي وصيته صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه: "عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء".

أيها المؤمنون! أمضي معكم في الوصايا التي تعلمنا آداب تلاوة كتاب الله فننتقل إلى الوصية الخامسة.

5. القرآن أيها المؤمن كلام الله، وقد تفرد الله تعالى بكل صفات الكمال والجلال، ومن شأن كل كلام . حتى كلام البشر . أنه يدل على أسرار صاحبه وصفات ذاته، فإذا أراد أحدنا أن يدرس شخصاما، اتخذ كلامه مادة من مواد الدراسة التي تعينه على مراده... فأولى بنا ثم أولى أن نلتمس معرفة الله في كلامه سبحانه وتعالى، ومطالعة معاني صفات كماله وجلاله في هذا الكتاب العظيم. قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه: "لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لايبصرون".

ولكي نبصر تجليات الله في كلامه، علينا أن نستحضر ماله سبحانه وتعالى من صفات الجلال والجمال والقدرة والعظمة والهيمنة والبر والرحمة... وغيرها من الصفات التي لاطاقة لنا بالإحاطة بها، فنستحضر من هذه الصفات مانستطيع في هيبة وخشوع، فإذا أقبل أحدنا على القرآن وفي قلبه شعور بعظمة هذه الصفات الإلهية، وفي نفسه شوق لمطالعتها واستجلائها فإن آيات القرآن ستبدو له واضحة مبينة بإذن الله لينتفع في دينه ودنياه وآخرته.

6. ينبغي أخي المؤمن أن تقرأ القرآن وكأنك تسمعه من أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.. وأن تصغي إليه بكل جوارحك وفؤادك، فالقرآن كلام الله، خاطبنا به ووجهه إلينا، وهذا يستوجب منا أن نصغي إلى هذا المتكلم العظيم ونحسن الاستماع إليه "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون".

والإنصات إلى الله لايكون بالأذن بل بالقلب وبالوعي كله وهي منزلة تقتضي تمرنا ورياضة. قال بعض السلف: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة، حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه، ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به سبحانه، فعندها وجدت لذة ونعيما لاصبر لي عنهما.." وهذا من مقامات الشهود التي لاقبل بوصفها إلا بذكر آثارها، وقد رووا عن بعض آل البيت أن حالة لحقته في الصلاة فخر مغشيا عليه، فلما سري عنه قيل له في ذلك، فقال: مازلت أردد الآية على قلبي، حتى سمعتها من المتكلم بها نفسه، فلم يثبت جسمي لمعاينة مقامه سبحانه وتعالى"

اللهم قدنا بعزيمة الراجعين إلى العمل بكتابك، وبيض وجوهنا بمناجاتك بتلاوة كلامك، واغمرنا بمواد مواهبه ومنحه، وآونا إلى كنف أمنه بالأنس به، وأمطر علينا سحائب جودك وعطفك بالانعطاف إليه، ووفقنا إليه فهو أقصد السبيل إليك، وسهل علينا بتلاوته وتدبره طلاب ماأعددته لأوليائك لديك، يامن هو أرحم بنا منا وأنظر لنا من أنفسنا، والطف بنا من آبائنا وأمهاتنا، وهذا كتابك بين أيدينا دليل على هذه الرحمة والنظر واللطف، فامح اللهم عنا كل صفة لاتتفق وما في القرآن وترضى به عنا، أمير المؤمنين محمد السادس اللهم وفقه وسدد خطاه ، وألهمه رشده، وأقر عينه بولي عهده مولاي الحسن وبصنوه الرشيد وبكل أهله وشعبه، واجعلهم من حسناته، اللهم اشغلنا بذكرك عن ذكر غيرك، وإذا حركتنا لذكرك فحركنا لنشهد ذكرك لنا فلولا ذكرك لنا ماذكرناك، ياذا الجلال والإكرام.. واغفر لنا ذنوبنا، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

في الوقف والابتداء

■ قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة الفاضل النحرير سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي رحمه الله ونفعنا به آمين يارب العالمين

❖❖❖

سئل العبد الضعيف الفقير إلى الله تعالى المقصر من معاملة سيده المرتجى عفوه وغفرانه محمد بن عبد السلام الفاسي لطف الله به.

هل يصح الابتداء بما بعد حرف المد إذا كان همزا ،ويعتد بالاشباع الحاصل في الوصل لمن قرأ له مثلا اولا إذا قرأ لورش : «يبني ءادم أما ياتينكم «آية/ الأعراف ، ثم أريد إرداف حمزة عليه من كلمة ءادم اعتبارا بالإشباع الذي وصل به ورش

❖❖❖

فأجاب السائل بأن ذلك يسوغ ولا حرج فيه بناء على ما ذكر بهاء الدين السبكي من أن الصحيح أن الابتداء بالشيء لا يستلزم الوقوف على ما قبله ، فطلب السائل أن يكون الجواب بالكتاب ليكون بينة في يده على صحة نقله لما في الفهم ، وألف أشياخهم من خلاف ذلك اسنادا لما أجاب به شيخ شيوخنا الشريف مولاي إدريس المنجري جدد الله عليه رحمته من أنه لا يجوز قطع المد ، وأن الابتداء بقطعه ، فأجبته إلى ما كتب عندي في ذلك ليظهر في الوجود فيقبل أو يرد على أني كنت كتبت فيه املاءا آخر في حياة شيخي مولاي عبد الرحمن بن ادريس جواب سؤال ورد علي من الجبل منذ سنين تقرب من العشرين أو تجاوزها ، وبعدما أجبت السائل أوقفني على جواب في المسألة لشيخ شيوخنا سيدي محمد بن مبارك اللمطي رحمه الله بالجواب وليس في يدي شيء الآن من ذلك ولكني اذكر ما حضرني منه مستعينا بالله فأقول:

❖❖❖

قد ذكر العلماء الذين تكلموا على أحكام الوقف والابتداء أن مالا يصح الوقف عليه لايصح الابتداء بما بعده ونقضها لهم العلامة بهاء الدين السبكي بأنه لا يلزم من عدم صحة الوقوف على حذف عدم صحة الابتداء بما بعده ، بل يصح الابتداء بالشيء، وإن لم يصح الوقف على ماقبله، واستظهر على ذلك بأحاديث منها مافي الصحيحين «من نسي صلاة أو قام عنها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك » ثم تلى : «أقم الصلوت لذكري» يعني بحذف الواو في التلاوة ، نقله عنه الدماميني في شرح المغني ، ونقله عن الدماميني أبو محمد بن عاشر في الفتح ، وعليه فلا يكون الابتداء بالشيء مستلزما الوقوف على ما قبله ، بل يكون ما قبله على حكم وصلة ، وبذلك على أن البادي بالشيء غير مقدر الوقوف على ما قبله كما ظهر من كلام البهاء السبكي اجماعهم على وجوب الرجوع إلى الساكن الذي نقلت حركة الهمزة إليه في نحو« قل ءانتم أعلم» ، وخلوا إلى شياطينهم، وكل ءامن بالله ، وقل ءالذكرين وغيرهما مما يغلب من يريد استصفاء ليحققوا سكونه.

❖❖❖

فإن كانت البداية بالشيء تستلزم الوقوف على ما قبله لصح لهم البدء بالهمزة التي بعد الساكن لقالون ومرافقيه وما اختلفوا إلى تحقيق سكونه في الوصل ، بل يعتبران الهمزة بعد ساكن وإن كان سكونه للوقف، وتكون الهمزة حينئذ مبتدءا بها والخلاف بين ورش وغيره في تحقيق الهمزة وتخفيفها، وقد جعل لغير ورش تحقيقها في ابتدائه بها من غير داع إلى الرجوع إلى ما قبلها لولا اعتبار وصلها به،وإنما باقية على حكم الوصل الذي تكون فيه مخففة لورش،

❖❖❖

ولا يقال أن ورشا يحققها أيضا إذاابتدأ لانا نقول إنما حققها لتخلف شرط تخفيفها عنده الذي هو الاتصال لأنها مبتداة والمبتداة من حيث أنها مبتداة لا تخفف ، فإن وصلت بسابقها فبعض العرب يرى توسطا حينئذ فيخففها ، وعليه جاء مقراء ورش وحمزة في الوقف ، وبعضهم يرى أنها مبتداة والمبتداة ما تخفف ، وعليه جاء مقراء غيرهما فلم يخففها ، إذ امن الجهة التي حققها منها غيره وإذا ثبت عندك هذا فيتخرج عليه وجوه منها أنك إذا أوقفت على بل احياء لورش اردفت على حمزة من كلمة احياء في وجه نقله لهذه القاعدة فالساكن قبل الهمزة على تحريكه بالنقل المخروج به منه ، وإن كان في الظاهر متدافعا لأن الابتداء بالهمزة يقتضي لها تحقيقها ، وهو يقتضي سكون ما قبلها واعتبار نقل حركتها إلى الساكن يقتضي لها تحقيقا ، فتكون محققة مخففة وذلك متدافع لأنه من جهتين لا من جهة واحدة.

❖❖❖

ونظيره قوله تعالى« والله لا يحب كل كفار أثيم» فإنك إذا قرأت لورش وقفت على كفار ثم اردفت حمزة عليه ليخرج معه في النقل ، فأما نقل حمزة فمحقق لوجود المنقول إليه بالوصل وهو التنوين، وأما نقل ورش فباعتبار أن وقف الانتظار في حكم الوصل ، فكأن التنوين لم يحذف بحذفه الموجب للهمزة ابتداء موجبا لها تحقيقا، وذكره الموجب لها تحقيقا من جهتين فلا تدافع فإذا سكت على الساكن الذي قبل الهمزة لحمزة نحو بل احياء واردته استيعاب وجوه وقف احياء ابتدات في ثاني وجه له من همزة احياء لان ذلك في حكم الوصل أيضا ، فلم ينقطع سكتك على الساكن الذي قبل الهمزة، وإن ابتدأت بها والله تعالى أعلم.

❖❖❖

ومنها انك إذا قرأت نحو قوله تعالى « وضربت عليهم المسكنة، ووقفت لورش ومرافقيه على كلمة عليهم ثم أردف همزة فضممت هاء عليهم ثم وقفت على لفظ المسكنة، فإذا أردت إرداف الكسائي ابتدأت من أول كلمة المسكنة لأنها في حكم الوصل لما قبلها ، فهاء عليهم مضمومة له وإن ابتدات بما بعدها.

❖❖❖

ونظير ذلك إذا قرأ القاري نحو قوله تعالى « ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار «اية الأعراف .

فإنه يقرأ لابن كثير ثم لقالون وأصحابه ويقف على لفظ تحتهم ، ثم يردف الأخيرين بضم الهاء ويقف على الانهر ثم يردف نقل حمزة وسكته باديا من أول كلمة الأنهر ، وليكون ضامنا للهاء إذ ذلك في حكم الوصل أيضا والله أعلم.

❖❖❖

ومنها أنك إذا قرأت نحو قوله تعالى ثم أنزل عليكم بعد الغم أمنة نعاسا فقرات لابن كثير ثم لقالون وأبو عمرو ثم لابن عامر وعاصم ثم اشرت إلى ورش بيغشى فلابد أن ترجع إلى نعاسا في ارداف حمزة ، لا تنوين نعاسا لمن يقرأ يغشى بالياء مدغم فيها ، ولمن يقرأ بالتاء الفوقية هو مخفا عندها لا مدغم ، فلابد بالقاعدة المذكورة من فك الإدغام الثالث لمن يقرأ بالتحية ، واستعمال الإخفاء الواجب لمن يقرأ بالفوقية والله أعلم.

❖❖❖

ومنها أنك إذا قرأت قوله تعالى : وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم، فوقفت لورش على أيديكم وأردت إرداف حمزة فلابد من الرجوع إلى لفظ مصيبة لأنك قرأت تنوينها لورش بقلبه ميما واخفائه عند الباء ، وفي قراءة لا تليه الباء الموحدة اخت الباء ، وإنما تليه الفاء اخت القاف، وهي لا توجب قلبه ميما كالباء ، فبالقاعدة المذكورة لابد من رده إلى النور وهذا حكم البصري مع قالون وحكم عاصم والكسائي مع الشامي والله أعلم.

❖❖❖

ومن هذا النوع حكم مابين السورتين فإذا قرأت نحو آخر النساء فوصلت عليهم بيائها فاتحة المائدة ادغمت التنوين في الياء التحتية لورش ثم لابي عمرو فإذا أردت إرداف قالون وابن كثير عليه فلابد من الرجوع إلى كلمة عليهم إما لتقف عليها على ما به العمل من أن المسملين بين السورتين يقفون على آخر الأولى، وأما بان تقلب ميما إذا أردت الأخذ بوصل آخر السورة الأولى بأول البسملة وهذا بين على القاعدة المذكورة إلا أن شيخنا قدس الله روحه كان يقول ان الابتداء بالشيء لا يستلزم الوقوف على ما قبله إلا في خواتم السورة ، وذلك مبنى عنده على مابه العمل كما سبق، وليس ذلك بلازم ، والذي يظهر لي أن الابتداء بالشيء مما يستلزم الوقف على ماقبله في فواتح السور وفي غيرها /. والله أعلم.

❖❖❖

ومنها أنك إذا قرأت قوله تعالى : في سورة النمل « بل أدرك علمهم في الأخرة » فقرأت لغير الصاحبين ثم أردت الإرداف لهما فلا بد لك من الرجوع إلى كلمة بل لتسكين لأنها ولو ابتدات بهمزة أدرك قطعا لكانت بعد لام محركة بالكسر بمقتضى القاعدة ، وذلك باطل لأن قراءتهما ليست كذلك.

❖❖❖

ونظيره ردما ءاتوني إذا وصلته ولم تقف على ردما فإنك تقرأ لورش ثم لحمزة فتقف على زبر ثم تقرأ لشعبه فلابد لك من الرجوع إلى ردما لتكسير تنوينه له لأنك خرجت منه بالسكت عليه لخلف ان استعملت التداخل، وتقرأ بعد ورش لابن كثير ثم لقالون وموافقيه فتقف على زمر أيضا ثم تفعل ما ذكر لشعبه أيضا ، ومن هذا الباب فيما بين السورتين ، إنك إذا قرات للبزي خاتمة الشرح فكبرت له كسرت باء فارغب للساكنين فإذا أردت أن تردف له على مقتضى الرواية التي له عن ابن الحباب وعن قارس وعن ابي ربيعة أيضا فلا بد لك من الرجوع إلى كلمة فرغب لتسكين الباء لأنك إذا لم ترجع وابتدات الهيللة فقط كنت على حكم الوصل المفروغ منه، فجعلت الهيللة على كثير ، وذلك خطأ، فالذين يردفون فيقولون فارغب الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد يلزمهم هذا المحظور وليس لفظ التكبير فاصلا لأنه حيث أردفت على الرواية الأخرى في نية الزوال وكانت كلمة لامنها كانت متصلة بياء ارغب ، وأصل الروايات أن يقول القارئ فارغب الله أكبر فارغب لاإله إلا الله والله أكبر،فارغب لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد.

❖❖❖

وإنما فعل ذلك الأولى من فعله فالقصد الاختصار، أما في غيره هذه السورة ونظائرها من نحو آخر التين وآخر القدر مما هو متحرك لا يتغير للساكنين فيظهر الاختصار بإسقاط كلمة الحكمين مرتين ، وأما في هذه السورة ونحو فلابد من الرجوع للمعنى المذكور، وحينئذ فإن اقتصر على رواية الهيللة دون الحمدلة فلا اختصار وإن قرأ بالروايات الثلاث وقع الاختصار وبإسقاط كلمة فارغب مرة واحدة وكما يرجع الاسكان المذكور فيما ذكر يرجع له ولإدغام التنوين في نحو وكذا يرجع لاثبات صلة هاء الضمير في نحو آخر البرية.

❖❖❖

والحاصل أنه لابد لهذا المختصر من تفتيش أواخر السورة الملاقية للتكبير فمالم يختلف حكمه كآخر التين وآخر الفلق مثلا فلا عليه إن لم يرجع ، وما اختلف حكمه باعتبا ر الروايتن فلابد لك من الرجوع لبيان أحكام الآخر باعتبارهما والله سبحانه أعلم

ومنها أنك إذا قرأت قوله تعالى :«إن تجتنبوا كبائر فقرأت لورش ثم للشامي وصاحبيه ثم لحمزة ثم لابي عمرو ثم أردت إرداف قالون عليه بدأت له من ميم مدخلا وتكون في اعتبار كونها مدغما فيها ميم تدخلكم لأنها في حكم الوصل بها. وهذا الحكم سائر في نظائر ذلك اتفق على الادغام أو اختلف فيه فلو قرأت قوله تعالى« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » اردفت المكي من قوله تجرتهم والإدغام متفق عليه ومثله ذلك تاويل مالم تستطع عليه صبرا ، تبتدي للمكي فالإدغام متفق عليه ، ولا يكون في شيء من ذلك فك الإدغام للقاعدة المذكورة ، ولو قرأت قوله تعالى: وإن تبدوا ما في أنفسكم فأردت استيعاب الوجوه لحمزة ابتدلت من كلمة يشاء للواويين إن شئت أو من كلمة من يشاء لهما ولا يكون فيه فك أيضا.

وكذلك إذا قرأت لأبي عمرو البصري

وماتنقم منا إلا أن آمنا الخ، فقرات إشباع الدوري فلك أن تردف القصر للامام من كلمة منا ولا تحتاج إلى إعادة تنقم، وكذلك إذا قرأت قوله تعالى القتال لولا أخرتنا، فقرات إشباع الدوري، فلك أن تبتدئ بالقصر للامام، من كلمة لولا ونظير ذلك في القرآن كثير، ولا يلزم فك الإدغام.

❖❖❖

ومنها أنك إذا قرأت لابن كثير مثلا قوله تعالى« وإذ لآتينهم من لدنا أجرا عظيما «فقرأت للبزي إلى صراط أردفت عليه قنبلا من لفظ صراط، ويكون ذلك على ضمة الميم وصلتها لما ذكر ، ونظراءه في القرآن كثير.

❖❖❖

ومنها صحة الابتداء بالشيء وإن لم يكن ماقبله صالحا للوقوف عليه مثل ما إذا كان حرفا إفراديا فيجوز للقارئ ان يبتدئ بالثاني من قوله تعالى« فتوكل على الحي الذي لا يموت، مع أن الفاء قبلها غير صالحة للوقوف عليها ولا يضر في ذلك الخطأ لأن النبي ص ابتدئ همزة أقم وترك الواو وهي متصلة حكمها حكم الفاء ، وقطعها الصورى ليس لأنها مقطوعة عما بعدها، بل لأن الواضع وضعها على أن لا تتصل خطا بما بعدها، كالألف والدال المهملة والمعجمة والراء والزاي، ولأجل صحة الابتداء كتبت بعدها همزة الوصل نحو والله على ما نقول وكيل ، فانظر كيف كان عقبة مكرهم ، اقراباسم ربك تالله تفتؤا إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة.

فإن انفصل خطا فهو أحرى بالجواز لظهور الانفصال الخطي نحو فمال هاءلاء ، فإن كان الحرف ثنائيا وكتب على الاختصار فاتصل الحرف البادي منه بما بعده جاز الابتداء بما بعده، وكذا يجوز الوقف عليه، هو نحو يا ابراهيم وهولاء والله اعلم،لايقال أن ما ذكره البهاء السبكي من باب الاستدلال بالحديث، وفيه ماعلم، لان نقول الاستدلال بالحديث الذي تكلم فيه هو الاستدلال على اثبات حكم عربي لغة أو اعرابا فأباه قوم لاحتمال أن يكون ذلك لفظ النبي صلى الله عليه وسلم، بجواز النقل بالمعنى، ولذلك قالوا إذا تحقق ان اللفظ للنبي لكونه مما يرغب في نقل لفظه ثبت به الحكم بلا نزاع

وليست مسألتنا من ذلك، ولكن كانت منه، فهي من الثاني لان اللفظ قرآني وتلقى العلماء الرواية بالقبول فلو لم يكن ذلك جائزا عندهم لا هملوا الراوي وانكروا ذلك والله أعلم.

❖❖❖

ومنها مسألة قطع المد أوجبت كتب هذه الاملاء كما سبق، فأقول والله المستعان إذا تقرر عندك ان البادي بالشيء غير مقدر الوقوف على ما قبله، فإن الابتداء لايستلزم وقفه على ما قبل المبدو به، بل يكون على حكم وصله ، فأي فرق يعقل بين حذف المد وغيره في ذلك بل الحق أن حذف المد وغيره في ذلك سواء، فلو قرأ القارئ نحو قوله تعالى« يجعلون أصابعهم في ءاذانهم« لورش بتوسيط همزة ءاذانهم، فله أن يردف حمزة باديا من كلمة اذانهم بقصر المد بعد الهمزة له. فان كانت له رواية باستيعاب وجوه ورش اردفت اشباعه على توسطه من همزة ءاذانهم أيضا ، ثم اردف منها القصر أيضا ، وأدرج حمزة معه فيه ، ولو قرأ قوله تعالى «وإذا أظلم عليهم، فقرأها لحمزة ، ثم أردف عليه ورشا باديا من همزة اظلم أيضا لما ذكروا ، وقرأ قوله تعالى«ان الله لا يستحي أن يضرب، فقرأ لورش وخلاد اردف عليهما خلفا من لفظ ان يضرب، ولا يرجع ليستحي لما ذكر أيضا ولو قرأ قوله تعالى «ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم ، لخ فقرأ لخلف بسكته على المنفصل اردف التحقيق للامام باديا من قوله باديا أن ءاتيه ولا يرجه إلى كلمة ربه قبلها، ثم يردف لورش منها أيضا ويكون في ذلك كله ءاتيا بالاشباع الواجب لهم وصلا للقاعدة المذكورة.

ولو قرأت قوله تعالى «حتى إذا أقلت سحابا، لخ ثم ادرف حمزة من أقلت سحابا ولايرجع إلى قوله حتى إذا، وكذا إذا أقرأ الوسطى في الكسائي اردف عليه حفصا من لفظ أقلت أيضا، وأمثال هذه الإردافات في القرءان كثيرة ، يعجز العاد على احصائها ، ثم أن هؤلاء الذين يمنعون أمثال هذا يقولون به ويرونه فينا قصورا، ويدلك على أنهم يقولون بامتناعهم من ارداف ابن كثير من لفظة أولادكم من قوله تعالى«ولا تقتلوا أولدكم من املاق، فانهم إذا قرءوا للصغرى ثم الوسطى ثم للكبرى اردفوا ابن كثير، من ولا تقتلوا أولادكم، ويقولون نفعل ذلك لندفع اشباع ورش ، فإن الاشباع يتفق على مذهبهم لو بدأوا من لفظ أولدكم ونظير ذلك قوله تعالى «وإنهم ءاتيهم عذاب من غير مردود«، فإنهم لا يجيزون أن يردف قالون على ورش من كلمة ءاتيهم لاعتقادهم ان اتباع ورش باق وأي اشباع باق على مذهبهم ؟

ونظيره ذلك قوله تعالى أيضا ، وإذا قيل لهم آمنوا كما ءامن الناس« لخ ومن ذلك قوله تعالى فارتدا على ءاثارهما قصصا ، لخ فإنهم إذا اردفو المكي رجعوا إلى قوله من عبادنا ليزيلوا إشباع قالون ، وهل هذا لثبوت الاشباع لمن بدأبما بعد حرفه.

ونظيره قوله تعالى« يوم يقول المنفقون والمنافقات للذين آمنوا انظونا، فإنهم إذا قرءوا لورش ثم أردفوا عليه حمزة فقطعوا همزة انظرونا، ومدوا وءامنوا اشباعا قياسا رجعوا إلى قوله ءامنوا إذا قرءوا لهشام، وليزيلو الاشباع الذي بأيديهم لحمزة ، وهل هذا الاعتبار لثبوت الاشباع بلا نزاع ، ونظيره قوله تعالى« يأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد، لخ فانهم إذا اردفوا المكي رجعوا إلى كلمة تناله.

ونظير ذلك قوله تعالى« قالوا اجيتنا لتافكنا عن ءالهتنا الخ فإنهم إذا أردفوا ، السوسي رجعوا إلى كلمة قالوا ازالة لاشباع ورش فدل هذا من فعلهم على أنهم يعتبرون بقاءه وهم يزعمون ابتغاءه «يحلونه عاما ويحرمونه عاما«.

فالحق والله أعلم ان لا فرق بين حد وغيره في أن الابتداء بشيء لايستلزم وقفا على ما قبله، وأنه يكون على حكم وصله،

وأمثال هذه المسائل في صناعة الإرداف كثيرة في القرآن، نبهت بهذه عليها، فينبغي للطالب أن يعتبر امثتال ذلك، ويجري عليها حكما ليتحرى في أداء القرآن العظيم وتلاوته تعلما وتعليما بعض ما يجب عليه في أدائه والله الموفق للصواب وإليه المآب.

وهذه المسائل وإن لم تكن من متين العلم ورصينه وحيده وسمينه هي مما تعم به عند أهل الصناعة البلوى فتتعين فيها الفتوى فلم يكن لابد من إجابة السائل، مع تزاحم المشاغل، وعدم مرجوع إليه هذا الزمان من اهل هذا الشأن

جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم والسلام

انتهى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما...

خ ع د 3443

عمت الأفراح بهلال رمضان

الطاهر العروسي

رمضان هل بنوره وتبسما
فرح الفؤاد بحبه وترنما
وهفا لأفراح اللقاء وشوقه
أحيا وصلى للإله وسلما
هذي بشائر جوده وعطائه
وعبير أنس في القلوب وفي السما
نفحات رحمة خالق متكرم
وهب الهداية واستزاد تكرما
فتفتحت أبواب رحمته هدى
وتبتلا وتقربا وتنعما
سعدت به الأكوان لما جاءها
فيه الهدى والوحي فيه تكلما
فغدا شعاعا، منه أول بارق
في الكون شع سناؤه وتبسما
قامت بشائره، ترى نبراسها
في موكب النور استقام وخيما
تشدو بتوحيد الاله وفضله
أعطى وأجزل في الثواب وكرما
القلوب كتابه وأضاء في غور
والأي والذكر الحكيم فأنعما
أحيا ربيعا في حناياها عفا
وأنار دربا دونه قد أظلما
بالعزم والإيمان ازهر وارتوى
والخير والإحسان قام وقد سما
فإذا جموع المؤمنين تدافعت
وتدفق السيل المبارك أنجما
رمضان يانور القلوب وزادها
يا مونلا للصائمين ومغنما

جاء في كتاب الفوائد الجامعة

للعلامة عبد السلام السميج ت (1976)

الفرق بين المداراة والمداهنة

فالدة:

الفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة هي الرفق بالناس في مخالطتهم ، وسوقهم إلى الحق بلطف ، فهي بذل شيء من الدنيا لأجل التوصل إلى حق، بخلاف المداهنة فإنها معاشرة الفاسق مع إظهار الرضى بما هو عليه ، فهو بذل الدين لصلاح الدنيا . ومن المداراة حديث عائشة رضي الله عنها كما في الشمائل وغيرها، استأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم، وأنا عنده. فقال بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة، ثم أذن له فألان له القول، فلما خرج قلت: يارسول الله قلت ما قلت: ثم ألنت له القول ، فقال : ياعائشة إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه الناس اتقاء فحشه، وفي رواية البخاري: ماعهدتني فحاشا إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره (هـ) فبين ، صلى الله عليه وسلم، أنه إنما الان له القول تأليفا له واتقاء فحشه، لأنه كان رئيس قومه ، وهو عُيينة بن حصن الفزاري، فلو لم يلن له القول لأفسد حال عشيرته وزين لهم العصيان، وحثهم على عدم الإيمان. وقد كان المصطفى ، صلى الله عليه وسلم، يتألفهم ببذل الأموال العظيمة، فضلا عن طلاقة الوجه، كل ذلك، شفقة على الخلق وتكثيرا للأمة . كيف لا وهو نبي الرحمة ، صلى الله عليه وسلم.

قال القرطبي رحمه الله: ففي الحديث تعليم للأخيار كيف يتخلصون من شر الأشرار ، وأن مداراة من يتقى شره من أخلاق المؤمنين ، ولله در القائل:

ما دمت حيا فدار الناس كلهم ... فإنما أنت في دار المداراة
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى ... عما قريب نديما للندمات

وقال للأخر:

ودارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

وماأحسن قول القلشاني شارح الرسالة في هذا المعنى رحمه الله:

خبرت الرجال ومازجتهم ... فكل يميل إلى شهوته
فلله در فتى عاقل ... يدير الأمور على فطرته
يجازي الصديق بإحسانه ... ويبقى العدو إلى مدته
ويلبس للدهر أثوابه ... ويرقص للقرد في دولته (هـ)

لقد أظلنا شهر عظيم. الصيام عروج إلى الملأ الأعلى

إعداد الأستاذ عثمان بن خضراء

■ « رمضان » اسم عزيز على قلب كل مغربي ومغربية وعلى قلب كل مسلم ومسلمة وغال في نفس الجميع وعند اقتراب شهر رمضان يكثر حديث الألسنة وحديث الأقلام عن رمضان الأكرم ومزاياه. والموضوع المتحدث عنه قابل للإفاضة والاهتمام لأنه موضوع ديني ومظهر روحي والمواضيع الدينية الروحية لم تزل ولن تزال مبعث شعور فائر ، ومنبع عواطف خصبة ، الأمر الذي يدل دلالة قوية على معجزة الفكر الدينية الحقة التي تزداد مع الأجيال قوة وإقبالا ، وتزداد مع التقلبات تجددا وارتياحا . وإذا صح أن نعتبر فكرة « الصوم » الخصبة كجزء من الديانة الإسلامية، فينبغي أن لا يغرب عنا ما نكنه من خصوبة كل الأجزاء الأخرى ، أو بالأحرى كل الذرات التي تكون جسم الإسلام البديع المدهش.

للصيام عند رجال الدين حكم يختلفون فيها ويستكثرون منها تكبيرا لخطره وتعظيما بما شعر به الفقراء المعوزون.

. أو أنه تكفير عن الذنوب بتعذيب الجسد الذي اجترح تلك الذنوب!

. أو أنه تطهير للجسم واستجمام له من آفات الطعام والشراب!

. أو أنه رياضة للنفس على احتمال ما تكره والصبر على ما تحب!

وهذه هي الحكمة الجديرة بهذه الفريضة التي لو لم يفرضها الدين لوجب على كل إنسان أن يفرض على نفسه لونا من ألوانها وأن يأخذ بطريقة من طرائقها لرياضة النفس وتقوية الإرادة.

جاء في« دائرة المعارف»

« ذكر العلماء للصيام حكما متعددة ، وعندنا أن أولي تلك الحكم بيانا أثره على الإنسان في رياضة النفس وثمرته في تخليصها من سلطان المادة. فالإنسان جسد وروح ألف الخالق بينهما على اختلاف طبيعتهما إلى أمد محدود. فمن الناس من تتسلط المادة عليه فتدفعه في تيار الرغبات الجسدانية وتزج به في غمرات الشهوات البدنية فينقلب بهيما محضا يعيش ليأكل ، وما هي إلا سنين حتى يدركه الهرم ويقعد به الضعف فيموت ميتة الحيوان الأعجم لم يحصل من جهاده الدنيوي نورا يعرج به إلى العالم الذي سيتحول إليه!

والذي يلفت النظر أن تجرد الإنسان لاشباع شهواته المادية وإغفاله لكمالاته الروحانية يجر عليه وعلى نوعه أكبر الجرائم، ذلك أنه لم يخلق كالحيوان محدود المطالب معروف الرغائب حتى يكون ما يحصل عليه من حطام الدنيا كافيا لسد أطماعه، ولكنه خلق مطلق القوى بعيد مدى الغايات. فشرع الإسلام الصيام رياضة للنفس لتستقيم عن منهجها السوي فتعدل عن بذل قوامها المزاحمة الغير والتسلط عليه بغير حق إلى بذلها لتطهير نفسها والتسلط على إرادتها.

فكيف يحقق الصيام هذه الرياضة النفسية؟ ثبت بالتجارب المتكررة أن التقليل من الطعام يغلب صفات الروح على صفات الجسد فيزداد العقل إشراقا والذكاء حدة والنفس هدوءا والإرادة قوة. فشرع الإسلام الصيام لإحداث مثل هذه الحال على متبعيه ومن منا لا يحتاج لإرادة قوية وعزيمة ماضية. وهل بلغ الصحابة مبلغهم من الصبر على الشدائد والثبات على المبادئ فتغلبوا على المعمور إلا بهذه الرياضات النفسية لا جرم أنه بمثل هذا الصيام يحقق الإنسان لجسمه وروحه أكمل الرياضات وأعودها عليهما بالفائدة فيخرج من رمضان أقوى إرادة وأطيب نفسا وأكثر على شدائد الحياة صبرا.

الأمانة من مسوغات الاجتباء والاصطفاء عند الله تعالى للأنبياء، ونظرا لما لها في واقع الحياة من اشعاعات مضيئة جعلها الإسلام واسعة المعاني والشمول في شأن من شؤون حياتنا. وشهر رمضان هو المعلم الحقيقي للتحلي بالأمانة.

فالصائم يعيش في نورها وظلها في نهاره وليله، وقد تحملها طائعا مختارا لا رقيب عليه وبين يديه المأكل والمشرب. وكم خلا بنفسه وراودته نفسه الأمارة بالسوء على إشباع رغبته وشهوته. ومع ذلك أبى وامتنع لأنه أمين مع ربه. أمين على صومه ، أمين في شهره الذي عاهد فيه ربه لأن يكون من المؤمنين الصائمين وهذا درس عملي مدة ثلاثين يوما يقوم الصائمون امتثالا وخضوعا لله رب العالمين وياحبذا لو فقهنا هذا الدرس العملي واستفدنا منه في حياتنا كلها وفي أي موقع ، لكان لمجتمعنا شأن عظيم. وهنا تحولنا السعادة في حركة الحياة ويصبح الناس صالحين لعمارة الأرض في حاضرنا ومستقبلنا. والأمانة متعددة الجوانب ولا تقتصر على الودائع والأموال. ولذا نرى ربنا تبارك وتعالى يأمر بتأديتها في كل شأن من شؤوننا: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»

وعلى سبيل المثال « الوطن أمانة في عنق كل مواطن وإن اختلفت المستويات فوجب علينا أن نحوطه بقلوبنا وأن نفديه بأرواحنا للحفاظ على كل شبر من أرضه ، ولهذا فرض الله تعالى الجهاد علينا بالنفس والمال وبالدعم والعرق ، كما أن السلاح بيد الجندي للدفاع عن وطنه أمانة، والمحافظة على أسرار الدولة والخطط الحربية والشؤون العسكرية في قمة الأمانة التي فرضها علينا الإسلام.

ومن الأمانة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، وإسناد السلطة والمناصب القيادية للرجال الصالحين لذلك العمل وهذه هي صراحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابي جليل من صحابييه هو أبو ذر الغفاري رضي الله عنه الذي قال : « ألا تستعملني ؟ » فضرب بيده على منكبه ثم قال:« يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليها»

وأما أعمق المعاني للأمانة في تحمل المسؤولية التي حملنا إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : « كلكم راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته ، كذلك أمانة للحياة الزوجية بين الزوج وزوجته فلا يكشفها لغيره يقول عليه السلام : « إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها »

ومن الأمانة أن يحرص العامل والصانع والتاجر والموظف على الأمانة لغرس الثقة في النفوس وزرع المحبة في القلوب.

ونرى لعظم الأمانة أن ابنة سيدنا شعيب عليه السلام ترشح سيدنا موسى ، وأشارت إلى أبيها أن يستأجره لأنه جمع بين القوة والأمانة وجاء في القرآن الكريم.

« يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين»

وهذه هي تربية الإسلام في دنيا الناس للمحافظة على حرمات الله عز وجل وحقوق العباد من التفريط والاستهانة والاستهتار لتجد الإنسانية صوابها ورشدها في معاشها ومعادها.

وكل هذا وغيره نأخذه من فريضة الصيام الذي عماده الأمانة للإيمان والثقة بأن عبادات الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع فاضل سليم يربط نفسه بالخالق العظيم.

إن تقديس شعائر الصيام تثير في نفس المؤمن ذكريات مفيدة إذ أنها تربط الإنسان بالواقع الإسلامي والتاريخي لأن الصيام يجعل الإنسان شاخصا ومتأملا لما لهذه الفريضة من أهداف وأبعاد تقرب العبد إلى الله تعالى زلفى ، بل ومن خلال القيام بحق هذا الشهر الكريم قيام المؤمنين الصابرين والذين أسلموا وجوههم وعباداتهم لله تعالى ، لا بد وأن يسترجع المؤمنون كثيرا من القضايا والممارسات التي مربها خلال السنة الماضية.

فأهلا برمضان ومرحى بنسماته الشذية المنعشة للأجسام والنفوس وصيام متقبل إن شاء الله تعالى

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الأخضر الريسوني

العربية وظاهرة التهميش

■ كل أمم الدنيا تحافظ على هويتها ولغتها، مادامت الهوية واللغة أساس وحدتها وقوتها وتماسكها وعزتها وكرامتها، لكن وللاسف الشديد والألم يمزق النفوس نرى أمتنا العربية الاسلامية تبتعد .

وتكاد تنفصل عن أمجادها وتاريخها وتطأطئ رأسها صاغرة أمام تحديات الغرب ، لأنه يريدها أمة مشلولة ضعيفة لاحول لها ولاطول محتقرا لغتها، مهمشا تاريخها، عاملا على تفكيك وحدتها وإشاعة التخلف والتفسخ بين أبنائها وتتعالى الصيحات هنا وهناك للدعوة إلى استعمال اللهجات العامية واللغات اللاتينية لتصبح البديل عن اللغة العربية التي تستند على قواعد النحو والتصريف، مما يجعلها لغة صعبة وعصية عن الاستيعاب كما يزعمون وهكذا أصبحت كالمهمشة ينفر منها الإداري في إدارته ، والتلميذ في معهده، وداخل البيوت يصر الأباء على الحديث بالفرنسية مع أبنائهم وخدمهم معتبرين ذلك تقدما وحضارة ، وعلى شاشة التلفزة المغربية يتحلق عشرات الناس حول مسؤول للاستماع إلى لغة بلهجة غير عربية ، هذا بينما سامعوه وما أكثرهم لا يعون شيئا من كلامه وحديثه.

صحيح أن اللغة العربية في وقتنا الراهن تعرف نوعا من الانتشار لكن هذا الانتشار يجري على حساب مقومات شخصيتها، وقد أدرك علماء الغرب الترابط الوثيق بين اللغة العربية والدين ، مقتنعين بأن الاسلام لايفهم إلا بها ، وأنها ركن جوهري من القرآن الكريم الذي تتوجه إليه السهام هذه الأيام والدعوة إلى حذف بعض آياته، ولأجل ذلك شرعوا في بذل الجهود الكبيرة لإضعاف هذه اللغة وتدميرها وإبعاد المسلمين عنها.

هل في علمكم. يا ناس. بأن العربية تحتفظ بأكبر قدر من مقومات اللسان السامي الأول، متميزة بخواص كثيرة منها:

1. إنها أكثر أخواتها احتفاظا بالأصوات السامية.

2. هي أوسع أخواتها جميعا وادقها في قواعد النحو والصرف.

3. تتميز بغزارة مفرداتها ودقة قواعدها ، ومرونة أساليبها وثروة في آدابها وتراثها .

4. هي اللغة الحية الوحيدة في العالم التي بقيت دون تغيير في كلماتها ونحوها وتراكيبها منذ أربعة عشر قرنا مضت.

العربية. ياقوم. قال عنها اعلام كبار: اللغة التي لا يحيط بها علما إلا نبي. لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تكون أداة لعرقلة التقدم والحضارة في العالم العربي والاسلامي .

وعلى هامش موضوع العربية أذكر مناسبة جمعتني ببعض الحاضرين في وليمة ، كان من بينهم موظفون وأطباء ورجال أعمال ، سمعتهم يلفظون بشتى الكلمات واللهجات والتعابير البعيدة عن العربية ، ولا حظت أنها تخرج بصعوبة من أفواههم تساءلت مع نفسي : أين أنا الآن من هؤلاء الغرباء ؟ من يكونون؟ وفي هدوء انسحبت وفي داخلي غصة من الحالة التي انزلقت إليها بلادي فكادت أو تكاد تنسى هويتها ولغتها ، على أن إحدى الشهادات من عالم كبير عن اللغة العربية تبعث الأمل بإمكان تجاوز الأزمة التي تعاني منها اللغة في العالم العربي بتجاهلها والحط من شأنها عندما أعلن عالم الفضاء العربي فاروق الباز في أحد استجواباته.

. لغتنا العربية لديها المرونة والإمكانية لمسايرة التطور والتقدم التقني في كل المجالات عكس اللغات الأخرى ونحن العلماء العلميين نتحاور بها في موضوعات ومسائل علمية دون استخدام اللغة الأخرى لأنها لغة ثرية جدا ومتجددة دائما.

أليست هذه شهادة أخرى من عالم دولي كبير في حق اللغة العربية وإنصافها ؟

التفسير الإجمالي لسورة الأنعام

■ إعداد الأستاذ: المهدي بوزيد

■ سورة الأنعام إحدى السور المكية الطويلة عدد آياتها خمس وستون ومائة. وهي تختلف في مضمونها العام عن السور السالفة إذ لم تتعرض إلى شيءمن الأحكام التشريعية ،ولا لشيء عن أهل الكتاب. وإنما تسلسلت كلها في ذكر أمر العقيدة العامة وترسيخ مسألة التوحيد في النفوس ومناقشة ذلك على مستوى عال ولذلك فقد عرض السياق لأسلوب التقرير وأسلوب التلقين . وهذا ما سنلمسه عند تقسيم هذه السورة إلى أفكار رئيسية عامة.

الفكرة العامة الأولى :

مطلع السورة « الحمد لله الذي خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور. ثم الذين كفروا بربهم يعدلون1 » إلى قوله سبحانه « وهو الله في السماوات والأرض ، ويعلم سركم وجهركم يعلم ما تكسبون3 »

. وهذا المقطع هو مطلع السورة ولعله يرسم القاعدة الكلية لموضوع السورة بكاملها وهو إثبات الوحدانية الإلهية، وتصحيح العقيدة السليمة للناس . وهذه العقيدة هي التي تستهدفها السورة بكاملها، بل والقرآن الكريم بكامله، وذلك بخطاب القلب البشري وخطاب العقل البشري خطابا موحيا موقظا للفطرة مستعملا كل المقتضيات المنسجمة ، كحركة الخلق فعلم الله تعالى ما يجري بين البشر سرا وجهرا ، ويستوي في علمه سبحانه الخفاء والعلانية، ويجازي الناس جميعا على أعمالهم خيرها وشرها بعد تمكنه سبحانه من بعث الأجساد مرة أخرى من غير مشقة ولا صعوبة . وبذلك يكون هذا المطلع حملة على الكفار والملحدين الذين يشككون في توحيد الله وقدرته على البعث والحياة الثانية والخلود فيها.

الفكرة العامة الثانية:

من قوله تعالى « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم ، إلا كانوا عنها معرضين 4 » . إلى قوله سبحانه « قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين11 ».

إن هذا المقطع القرآني جاء مستأنفا الكلام عن آراء المشككين وموقف المشركين الذين يعارضون الدعوة الإسلامية في ظل هذا الكون الذي يقودنا ما نلمسه ونشاهده فيه إلى سهولة الاستدلال على وجود الخالق. وهو عرض لصورة المعاندة والمكابرة والسذاجة السطحية والهروب من الحقيقة بعد تبينها وظهورها مما استدعى تهديد هؤلاء الكفار على تكذيبهم بالحق ، إلا أنه يبدو أن الوعيد بالعذاب سنة الله في المكذبين كما حصل للأمم السالفة مثل قوم عاد وثمود وقوم فرعون وإخوان لوط... الذين تعرضوا إلى أشد أنواع العذاب لكن المشركين كذبوا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وطفقوا يطلبونه بألوان تعجيزية من الخوارق من أجل الإيمان والتصديق ، ظنا منهم أن الله لا يقدر عليها، لكن الله تعالى اخبر نبيه أن هؤلاء القوم لن يصدقوا مهما ما حقق لهم من الخوارق.

الفكرة العامة الثالثة:

من قوله تعالى: « قل لمن ما في السماوات والأرض قل لله...12 » إلى قوله سبحانه : « ... قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون 19»

هذا المقطع يأتي في أعقاب الكلام عن التكذيب والإعراض والسخرية لتبرز مرة أخرى حقيقة الألوهية ممثلة في إثبات وجود الله وتوحيده ، وإثبات البعث والمعاد والجزاء ثم إثبات النبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

هذا النبي البريء مما يشرك به العرب وغيرهم من الأصنام والأوثان وغيرها ويختم هذا المقطع بإيقاع يضفي على الجو كله مفاصلة حاسمة وهو إيقاع الإشهاد على التوحيد ، وإنكار الشرك « ... أينكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد، قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون19».

الفكرة العامة الرابعة:

من قوله تعالى: « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم. الذين خسروا أنفسهم فهم لا يومنون 20» إلى قوله تعالى « ... وللدار الآخرة خير للذين يتقون، أفلا تعقلون32».

. وهذا المقطع يتحدث عن مواجهة المكذبين بمصيرهم يوم البعث ، وبجزائهم في الأخرة التي ينكرونها ، مواجهة يطلبون من خلالها إحضار الشركاء الذين كانوا يعبدون مع الله أو من دونه وهم لا يستطيعون تحقيق ذلك ، ولا يدرون ماذا يجيبون؟ ولا ماذا يقولون ؟ سوى مأساة خافتة في رهبة واستحياء « يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المومنين، معترفين بالحق حينئذ في جوابهم على السؤال الإلهي« أليس هذا الحق؟» قالوا بلى وربنا».

الفكرة العامة الخامسة:

من قوله تعالى: « قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون . فإنهم لا يكذبونك. ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون 33» إلى قوله سبحانه « والله أعلم بالظالمين58».

. ويستهل هذا المقطع بحزن رسول الله بسبب إعراض قومه عن دعوته وتكذيبه ، فأخبر الله تعالى نبيه بأنه سبحانه على علم بذلك حتى يبعده عن الحرج العظيم الذي يشعربه أمام ربه ثم بين له أنه ليس اول من كذب بل هو أمر ممتد من الأمم السالفة مع أنبياءهم ، ولذلك ما عليه إلا التحلي بالصبر على الأذى واحتمال المكروه. ثم يؤكد الله تعالى مواساته لنبيه صلى الله عليه وسلم في مسألة الإعراض ، باعتبار أن الإيمان والكفر متعلقان بصنفين من الناس « صنف يختار الهداية وصنف يختار الضلالة مع العلم بأن الله قادر على كل شيء ، فكما أنه قادر على بعث الموتى من القبور يوم القيامة فكذلك قادر سبحانه على إحياء القلوب الجاحدة بالإيمان. ويدل على ذلك قدرة الله تعالى المغروسة في الفطرة الإنسانية وهي اللجوء إليه سبحانه من طرف المومنين والكافرين على السواء إذا نزلت بهم نازلة أو بلية أو محنة فلا يجدون ملاذا ولا مفزعا يلوذون إليه أو يفزعون إليه سوى الله سبحانه القادر القاهر المتصرف في الكون بقوله سبحانه للشيء كن فيكون. ومن ثم كان الاحتجاج على هؤلاء الكفار، ماذا يستطيعون فعله إن سلبهم الله تعالى نعمة السمع والبصر والفؤاد فيصيرون صما عميا بلها.

مع كون رسول الله لم يأت بشيء من عنده فما هو إلا وحي يوحى إليه وذلك كرد على أولائك المشركين الذين كانوا يطالبون الرسول صلى الله عليه وسلم بمعجزات مادية قاهرة ، مع العلم أن الله تعالى في غنى عن عبادتهم فأمر نبيه أن يخبرهم بالوحي أنه نهى أن يعبد الذين يدعون من دون الله ومعناه فلا حاجة لنا بكم . ولا بعبادتكم حتى تطلبونا لخوارق.

الفكرة العامة السادسة:

من قوله تعالى « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر ...59» إلى قوله سبحانه « ... عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير».

. وهذه الفكرة تجمع محورين اثنين: محور يتحدث عن اختصاص الله تعالى بالعلم بمغيبات الأمور ، فهو سبحانه عنده خزائن الغيب ومفاتيحها، وإنه سبحانه هو الذي ينجي من شدائد البر والبحر وفي كل أوقات المحنة فلا ملجأ إليه سبحانه.

والمحور الثاني : الأمر بوجوب الإعراض عن كل من يخوض في آيات القرآن بالتكذيب والإشاعات والاستهزاء، وعدم مخالطتهم أو مجالستهم. كما يجب العلم أن عقيدة الشرك بالله صفة بدائية غير حضارية ، تفسد على الإنسان حياته فتجعله يخوض في فساد الخرافات والأباطيل ، ثم نكون سببا في تدميره وتعذيبه عذابا شديدا في الدار الآخرة.

الفكرة العامة السابعة :

من قوله تعالى « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة. إني أراك وقومه في ضلال مبين 74» إلى قوله سبحانه « وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها . والذين يومنون بالآخرة يومنون به وهم على صلاتهم يحافظون92».

وعموما يتحدث هذا المقطع عن تحمل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام عناءا كبيرا وجهدا جبارا من أجل ترك الناس عبادة الأصنام والأوثان من قديم الزمان، وخاصة الجدال الرائع الذي كان بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وقومه في المناظرة إلتجأوا إلى التهديد والتخويف بالطرد والرجم والحرق. وأمام تلك المعاناة العظيمة أكرم الله نبيه إبراهيم فوهب له ولدين صالحين إسحاق ويعقوب، وجعلهما من الأنبياء المهتدين كما سبقت هداية الله للآخرين من قبلهم، ثم الأنبياء والرسل من بعدهم « هدى الله يهدي من يشاء من عباده».

الفكرة العامة الثامنة:

من قوله تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ...93» إلى قوله سبحانه « وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضهم على بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم . إن ربك سريع العقاب. وإنه لغفور رحيم 165».

وهذا المقطع الكبير من سورة الأنعام يجمع سلسلة أفكار متناسقة لابد من جمعها في فكرة عامة واحدة وتبدأ بتوضيح أعظم ظلم قبحا عند الله هو الافتراء على الله الكذب، والاستكبار عن آيات الله، والادعاء لله البنات «سبحانه» أو الشركاء من الجن ، ثم تلك المعارضة العنيفة خاصة من كفار قريش التي ترتكز على حجة وإنما هي بسبب الحفاظ على مراكز الزعامة والسيادة والاستكبار.

وأمام هذا العناد الكبير من الكفار لرسلهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يتحدث ربنا الكريم عن مظاهر القدرة الإلهية في الكون وآفاقه الزاخرة بالبراهين الحسية على وجود الله الخالق سبحانه ويثبت هذه الحقيقة بالوحي أي القرآن الذي يعين على الإدراك وتجنب طريق الضلال والزيغ والانحراف ، مستعينا بالأخلاق العلوية المتجلية في عدم سب آلهة الكفار حتى لا يسبوا الله عن جهل أو عن علم . مع عدم طاعتهم لأن فيها ضلال وتضليل ، ومن ذلك : الحرص على أكل اللحوم المذبوحة والتي ذكر عليها اسم الله. وهذا أمر متوفر الآن في كل المحيطات.

ثم يتبين من خلال المقطع الأخير أن الله تعالى لم يترك في القرآن وسيلة لدفع الناس إلى الإيمان وترك الكفر سواء عن طريق الترغيب أو الترهيب إلا وبينها.

وفي الختام تأتي الوصايا العشر المتفق عليها في كل الكتب السابقة : خمسة منها وردت تفيد النهي وخمسة تفيد الأمر.

ويذكر بأن عقيدة التوحيد التي يدعو إليها القرآن الكريم هي نفسها دعوة إبراهيم الحنفية ولم يكن من المشركين وبذلك يفند دعوة أولائك العرب الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام.

وهذا مجمل ما جاء في سورة الأنعام المكية.

في التكبير أثناء التلاوة

للعلامة محمد بن محمد الملقب بالكرطي

■ سئل أحد من الطلبة عن التكبير المروي عن البزي من آخر الضحى إلى ختم القرآن كما إذا قال القارئ مثلا: فحدث الله أكبر لاإله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، وانتظر وأردف عليه قالونا وقنبلا، هل يدخل بالقصر لتقدم البزي أم يقالون لرتبته، وعليه فيكون القطع على الهيللة والتكبير والحمد لله وقف تام ، الجواب والله المستعان. وعليه التكلان.

إن تقديم قالون على البزي من قوله الذي أنقض ظهرك معني له بالكلية، بل هو جهل وفساد عظيم وشنعة ذميمة، وهو شر كثير وبطلان ظاهر إذ الوقف على الجملة من التكبير والحمدلة غير تام ولا كافي ولا حسن، وإنما هو جائز مع جواز عدمه، قال ابى زيد سيدي عبد الرحمن بن القاضي في مفردته مانصه:

والمشهور عندنا والذي جرى به العمل أنه لابد من التكبير مع البسملة والهيللة كذلك، وتأتي من بعده بقنبل وقالون، وتدخل بالقصر لتقديم البزي، وهذا هو المأخوذ به عند أهل الأداء، واشتهر في المغرب وفي جميع الأمصار والأقطار، وبه كان يأخذ شيخ زمانه وفريد عصره مولاي عبد الرحمن بن ادريس، وأخذ به كل من قرأ عليه إلى هلم جرا، وبيان ذلك أن القطع على الجملة المذكورة إنما هو انتظاري، وإن كان جائزا كما نص عليه غير واحد، إلا أنه لم يكن جائزا لعدم وجوده في المصحف، ولكونه ليس من القرآن، وإنما الوقف الجائز هو التام والكافي والحسن كما نص عليه الداني في بعض كتبه، والسيوطي في الإتقان، أما ترى أنك إذا دخلت بالاشباع وقلت أن القطع على الجملة جائز فيكون فيه الإهمال الممنوع عند أهل الأداء كما نص عليه الجعبري وابن الجزري وابن القاضي حيث قال: ومنعوا الإهمال الخ.

وفائدة تقديم البزي في ذلك حيث حبس القاري وانتظر لدى الحمد وأتى يقالون مع قنبل ويسمل إنما هو طلبا للاختصار وتقريبا للقارئ وإلا فلا حجة لتقديم البزي على قالون، وللوقف والقطع والسكت عبارات يطلقونها غالبا في كتبهم ويريدون بها الوقف، أعني المتقدمين والمتاخرين، ففرقوا بين ذلك بأن قالوا: الوقف عبارة عن قطع الصوت زمانا كثيرا مع التنفس كما هو مسطر في كتبهم، فإن قلت هل التكبير لآخر السورة أولأولها؟

قلت: المشهور المأخوذ به عند المحققين هو أنه لآخر السورة، وعليه فإذا ابتدأ القارئ مثلا من ألم نشرح وغيره يعود ويبسمل قال بعض عوام الطلبة المتصدرين للغيبة والنميمة المشتغلين بتحذار التيوسي والسبعة في القول والفعل المدعين بافترائهم على الله فضلا عن الخلق، وإنهم يزعمون بتحقيق كلام الجعبري وبالطرد عليه والبحث عن مسائله أن الوقف على الجملة والتكبير والحمدلة وقف تام، واستدلوا بقوله تعالى:" لتعلموا أن الله على كل شيء قدير" الخ.

وماذكروه غير صحيح والفرق بينهما ظاهر، فلا نطيل بذكره، وزعم أن هذا الأمر وأمثاله كثير وسلمه له مقلدوه في ذلك وتبعوه في زلله وفجوره وما ذلك إلا لعدم معرفتهم بالتجويد وعدم مطالعتهم كتب أهل الأداء، بل ذلك من كثرة الحمق ونقصة العقل، فأصبحوا قد باءوا بهوس عظيم، وضلوا وخذلوا باتباعهم الفساد العظيم والزور الفاشي والكذب البين والمبين وهو أن الوقف التام بخلاف ذلك، وهنا غلط والسلام.

عبد ربه علي بن عبد الله الرجراجي البومحمدي عفا الله عنه. وقد نقلنا هذه النسخة حرفا حرفا بلا زيادة ولا نقصان والله أعلم انتهى، وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل خلقه وعلى آله الكرام الغر وصحبه.

الجواب الذي دل عليه دلائل الحق واضحة وأنوار الصدق والصواب إن شاء الله لائحة المنزه عن التناقص والفساد المحض، هو أن القارئ الذي إذا وقف على أن مع التكبير واردف هو أفقه فلا مرية ولاتكبير أن يبتدئ بقالون أو غيره فلا يماري في هذا الأمر حيرة له بالفن وأهله، ولاخالط الأشياخ لينقدوه من جهله نعوذ بالله من سوء فهمه، لأن الوقف على التكبير والحمدلة جائز عند جميع أهل الهيللة، وذلك أن الوقف على آخر السورة تام للبزي وغيره وصله بالتكبير ووقف عليه ليشعر بأنه آخر السورة، كما عليه الجمع الغفير وهو المشهور الذي جرى به العمل، وإن كان القطع على آخر السورة جائزا بلا خلل عملا بقول صاحب الحذر، فإن شئت فاقطع دونه أو عليه، وكذلك غيره، فمن نص على ذلك ونسب إليه، وإذا كان ذلك وقفا فلا فرق سواء كان ذلك على التكبير أو غيره، أو على الحمدلة لأن حقيقة الوقف الذي هو قطع الصوت آخر الكلمة الوضعية الخ. صادقة على الجميع فافهم الحق واتبع وكن مطيعا، قال السيوطي في الإتقان: الثامن الوقف والقطع والسكت عبارات يطلقها المتقدمون غالبا مرادا بها الوقف، والمتأخرون فرقوا فقالوا القطع عبارة عن قطع القراءة رأسا فهو كالانتهاء بالقارئ به كالمعرض عن القراءة والمنتقل إلى حالة أخرى ثم قال: والوقف عبارة عن قطع الصوت من الكلمة زمانا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الاعراض، ويكون في رؤوس الآي وأوسطها ولاباس في وسط الكلمة، وفيما اتصل رسما واشتبها في رؤوس الآي وأوسطها ولم يفرق في ذلك بين كون الوقف في وسط الكلمة عليها تاما ولاغيره، وقال في حقيقته بنية استئناف القراءة فهذا كله دليل قوي على ماقلناه، لله الحمد، على أن هذا بعد تسليم أن الوقف على التكبير والحمدلة ليس بتام ولاكاف ولا حسن كما هو قول القائل، وإلا فحقيقة التام صادقة عليه لأنه هو الذي تم معنى واحدا بأولى معنى واعراب بقي حتى يكون الوقف عليه غير تام مع أن المقصود في صنعة الإرداف إنما هو قطع الصوت بنية استئناف القراءة كما ذكر، لا كما قال القائل، وكونه تاما أو غيره فافهم، وإلا ورد عليه ماعلقه الهبطي في كثير من المواضع من الوقف الذي ليس بتام مع جريان العمل في المغرب ببناء صنعة الإرداف على ما وضع، فإذا تمهد هذا فلنرجع إلى الخطأ الظاهر في المقال والجواب وليس بسؤال حقيقة وإنما هو صورة لاغير.

أقول وبالله استعين:

أما قول القائل في المقال: إذا قال القارئ مثلا فحدث الله أكبر فحدث لاإله إلا الله والله أكبر، فحدث لاإله إلا الله والله أكبر ولله الحمد وانتظر وأردف الخ فيقتضي تسليم هذا التركيب، والبحث إنما هو هل ينوي الوقف على التكبير أم لا؟ وليس بمسلم بل الطعن فيه من وجهين: أحدهما: كون الرواية الثانية والثالثة في كيفية التركيب صارت مستقلة ليست لأول السورة ولا لآخرها، وهذا ليس بمشهورولاجرى به عمل، والثاني فيه خلط الروايات الثلاث في رواية واحدة، ولايصح ذلك باتفاق، كما قال ابن القاضي، وفيه طعن أيضا من وجه آخر، وهو أن فحدث وما أشبهه مغيرة على الرواية الأولى وأما الرواية الثانية والثالثة فلا تغير عليهما فافهم، وبقي بحث آخر في المقال من صنعة جهة العربية يظهر لمن له أدنى مسكة في الإعراب، وأما الكلام في جواب المقال فقد اتسع الخرق على الراقع وذلك لأن كلامه معترض من وجوه، أحدها: أن الوقف على الجملة من التكبير والحمدلة غير تام ولاكاف ولا حسن، وإنما هو جائز مع جواز عدمه الخ، فيقتضي حصر الجواز في الوقف غير التام والكافي والحسن إذ هو مقتضى أدات الحصر، وأما غيره من هذه الوقفات فيكون واجبا أو حراما ولا قائل به أيضا.

قال الجعبري: وليس في القرآن وقف محرم ولا واجب، لأن الوصل والوقف لايدلان على معنى فيختل بذهابهما الخ. وقال ابن الجزري: وليس في القرآن من وقف واجب ولاحرام غير ما له سبب، فظهر بهذا أن حصر الجواز في غير الوقفات الثلاث ليس بصحيح، وثانيهما: أن قوله: قال ابن القاضي الخ لا حجة له فيه ، لأن كلامه في غير صورة التداع إذ كلامه في جميع التكبير مع البسملة وكذلك الهيللة، وهذا لا يقوله احد بأن البزي إذا بلغ ألم نشرح وانتظر يدخل بالإشباع في الذي انقضى الخ، فالجالب لهذا الكلام لم يعرف موضوع المسألة ولذلك جلبه في غير محله.

وثالثها قوله: وبه كان يأخذ شيخ زمانه الخ فقد كذب هذا الكاتب، ومن نقش له أولا على الشيخ في نسبة ذلك بل المأخوذ به عن الشيخ سلفا وخلفا جمع أهل البسملة في بسملة واحدة اختصارا، فيما يحكى فيه الجمع، وهذه النسبة ترد ماادعاه الناقش أولا ، والكاتب آخرا مولاي عبد الرحمن من أنه قرأ عليه بجميع روايات التكبير في رواية واحدة، فالحاصل أن الناقش أولا ادعى أنه قرأ على الشيخ بجميع روايات التكبير في رواية واحدة كما يشعر به المقال، ونسب هنا للشيخ خلاف ذلك، وماذلك إلا لعدم ضبطه، وإذا كان كذلك فلا تحل الرواية عنه لأن شروط المقرئ أن يكون حرا، مسلما، ثقة، مأمونا، صادق اللهجة، ضابطا، خاليا من أسباب الفسق إلى آخر ماذكروه.

ورابعها قوله: إلا أنه لم يكن حاجزا لعدم وجوده في المصحف، أو لكونه ليس من القرآن الخ فيه نظر، إذ لايلزم من عدم وجوده في المصحف وكونه ليس من القرآن أن يكون الوقف عليه غير تام ، ألا ترى أن التعوذ ليس من القرآن وليس في المصحف مع أن الوقف عليه تام، قال الداني، الوقف على التعوذ تام، وعلى البسملة أتم، أي حقيقته صادقة على الجميع.

خامسها قوله: وإنما الوقف الحاجز هو التام والكافي والحسن مانص عليه الداني في بعض كتبه والسيوطي في الإتقان، أما نسبته للاتقان فقد كذب الناقش ومن تبعه في تلك النسبة، وأما الداني فلم يذكر في كتاب من كتبه ليراجع، وعلى تسليمه، فمن أين جاءه، إن الوقف على التكبير ليس بتام لأن الداني على ما قال لم يخرج الوقف على التكبير من التام والكافي والحسن، فهذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا الأية.

وسادسها قوله: ألا ترى أنك إذا دخلت بالاشباع وقلت أن القطع على الجملة جائز فيكون فيه الإهمال الممنوع الخ، لا إهمال إذ لو عرفت حقيقة الإهمال لم تذكره، فكيف يكون الإهمال ياهذا مع كون القطع على الجملة جائز والبزي قد أتى على البسملة.

وسابعها قوله: وفائدة تقديم البزي إلخ برده ما نقله عن ابن القاضي من كون العمل جرى بما قاله وبه كان يأخذ شيخ زمانه الخ.

وثامنها قوله: والوقف والقطع والسكت الخ. عبارتي الاتقان حذفها ونقص منها وأفسدها حيث قال: الوقف عبارة عن قطع الصوت زمانا كثيرا الخ.

فأنت تراه مع مانقلته عنه سابقا.

والحاصل أن آدم هذا ولم يحدث له غير لم يبك لميت ولم يقرح بمولود، فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله الأية.

فلولا مخالفة الملل لنقضت كلامه حرفا حرفا بأحسن العلل على أن ماتعلق به من كون الوقف على التكبير غير تام الخ.

ذكر أبو يوسف صاحب أبي حنيفة أن تسمية الوقف بالتام والكافي والحسن بدعة ومعتمد الوقف عليه مبتدع إذ كله تام حسن، وبعضه تام وحسن، وهذا كاف لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم قاله عبد ربه تعالى محمد بن محمد الملقب بالكرطي، كان الله له وليا، وبه حفيا. انتهى بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ح ع د 3443

البعد الصوفي في كتاب البحر المديد في تفسير القرآن المجيد

للعلامة سيدي أحمد ابن عجيبة(1224هـ 1809م)

■ إعداد الدكتورة زبيدة بن علي الورياغلي

الحلقة الاولى

■ قبل الخوض في الحديث عن البعد الصوفي في الكتاب ، وإبراز ملامح الفكر الصوفي عند المؤلف من خلاله ، أرى لزاما تقديم تعريف موجز عن صاحب الكتاب.

هو العلامة الصوفي الشيخ أبو العباس أحمد بن عجيبة الحسني التطواني المتوفى سنة 1224 هـ 1809م ، صاحب التآليف العديدة والمصنفات القيمة التي من أهمها وأشهرها وأكبرها حجما، تفسيره البحر المديد، والذي رغم شهرته في المنطقة وتداوله لم يحظ بالاهتمام الذي يستحقه من قبل الدارسين والباحثين المتخصصين ، وعموما فإن تراث الشيخ ابن عجيبة ظل مغمورا زمنا طويلا ،لم تلتفت إليه الأنظار وقد مضى على وفاة شيخنا قرنان، على الرغم من مكانته الرفيعة وشهرته الواسعة ، إلا ما كان من اهتمام بعض الأجانب بهذه الشخصية وتسليط الأضواء عليها أمثال المستشرق الفرنسي الدكتور، جان لوي ميشون ، في محاولة منه لإعادة الاعتبار لهذا العالم الفذ، والتعريف بفكره بشكل عام، والجانب الصوفي منه بشكل خاص . ورغم أن تراث صوفينا الكبير لايزال جله مخطوطا ، إلا أن بوادر الاهتمام به بدات تلوح في الأفق بشائرها خاصة في السنين الأخيرة ، حيث انجزت دراسات وابحاث علمية جادة على المستوى الجامعي ، تناولت فكر الشيخ ابن عجيبة عامة، وتراثه الصوفي خاصة ، ومع هذا فإن هذا التراث لا يزال في حاجة إلى تسليط المزيد من الأضواء عليه، ونفض الغبار عن ذخائره المدفونة في الزوايا والخزانات العامة والخاصة ، لإعادة الحياة إليها من جديد، فنحن أحوج ما نكون إلى إبراز ما خلفه رجالات المغرب ومفكروه من إسهامات علمية متميزة في شتى مجالات المعرفة.

أما الكتاب فهو، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، وهو يقع في أربعة مجلدات في نحو ألف وأربعمائة صفحة من الحجم الكبير ، فرغ المؤلف من تأليف الجزء الأول منه سنة 1216 هـ ، ومن الجزء الرابع سنة 1221هـ وقد اشار المؤلف إلى ذلك في خاتمة التفسير حيث قال : « وكان الفراغ من تبييضه زوال يوم الأحد سادس ربيع النبوي عام واحد وعشرين ومائتين وألف هجرية على يد جامعه العبد الضعيف الفقير إلى مولاه أحمد محمد ابن عجيبةالحسني لطف الله به الدارين ، هـ

ولعل الباحث في تفسير العلامة الصوفي الشيخ سيدي أحمد ابن عجيبة لكتاب الله ، سوف يدرك بوضوح وجلاء عمق المنهج الذي سلكه المفسر في مؤلفه ، البحر المديد ، ومدى التزامه بالخطة التي تبين معالم منهجه الخاص ، يشرح المؤلف الخطة ، فيقول في مقدمة كتابه: « بأنه سيقدم في كل آية ما يتعلق بمهم العربية واللغة ، ثم بمعاني الألفاظ الظاهرة ، ثم بالإشارات الباطنة،هـ والذي يهمنا من هذا التفسير هو الجانب الإشاري منه ، الذي تتجلى فيه بوضوح ملامح الفكر الصوفي عند ابن عجيبة، وطريقة معالجته لمختلف قضايا التصوف على اعتبار أن أسلوبه في جل كتاباته يحمل نبرة صوفية قبل انخراطه في الطريقة الدرقاوية وبعدها ، وبالأخص في تفسيره ،البحر المديد، حيث يتعرض في باب الإشارة للعديد من قضايا التصوف العلمي كما مارسه في سيرته الظاهرة والباطنة ، ومنها الحديث عن مبدأ الصحبة، وشروط الشيخ المربي وطبيعة العلاقة بينه وبين المريد وآدابها ، وعن مشكلة خرق العوائد والتجريد ومجاهدة النفس ، كما يتناول قضايا التصوف النظري التي ضمنها الحديث عن أصول المعرفة الصوفية، ، وطريقة بيانه لعيوب النفس وكيفية مجاهدتها ، مع بيان مذهبه في تصنيف المقامات والأحوال الصوفية، واتصافه ببراعة فائقة ونفس عميق في إبراز الأبعاد الروحية التي ترمي إليها الآيات القرآنية ، وعن استفادته من ثقافته الواسعة في العقول والمنقول فهو إلى جانب اعتنائه بتقرير الإشارات واللطائف الصوفية ، ومحاولته الغوص في بحار أسرارها الزاخرة، واستكشاف ما وراء العبارات الظاهرة عمل على الجمع بين المأثور والرأي فخاض بعد ذلك محيط التفسير والتأويل معا،يقول المؤلف ، وقد فسرت كتاب الله عز وجل على طريقة أهل الظاهر وأهل الباطن بما لم يسبق إليه، (الفهرسة: 101) هـ ومما يزيد الكتاب أهمية وخصوصية ، كون صاحبه كان حريصا على عدم الانسياق والانزلاق في متاهات التفسيرات والتأويلات الخاطئة التي يلجأ إليها .أحيانا .بعض المفسرين من أصحاب المذاهب والفرق ، حيث يحملون النص القرآني مالا يحتمله ، ويخضعونه لنصرة مذاهبهم وطرائقهم، ويمكن القول بأن هذه الخاصية لم تتوفر للعديد من المفسرين ، وهي ميزة تفرد بها مفسرنا واستحق بها الانتساب إلى مدرسة التفسير السني الجامع بين التفسير بالمأثور وبين التفسير بالإشارة مع الاعتدال التام في التعامل معهما، قاصدا إلى هدف جليل وهو ألا وجود لأي تعارض بين الشريعة والحقيقة ، وأن علوم الصوفية لها أصل من القرآن والسنة ، وقد سلك المؤلف مسلكا خاصا في تقرير ما يناسب الآيات القرآنية من الإشارات الصوفية والمعاني الفيضية والمفاهيم الإشراقية ، التي يرى أنه لا يصح ذكره إلا بعد تقرير الظاهر ، هـ (من تقرير التفسير بالعبادة ، فهو يصرح» بأن القرآن الكريم له ظاهر لأهل الظاهر ، وباطن لأهل الباطن لا يفهمه غيرهم ولا يذوقه سواهم ولا يصح ذكره إلا بعد مقدمة تفسيره) ، والمؤلف في تفسيره الإشاري يرتكز أساسا على مبادئ الكتاب والسنة ويلتزم بهما التزاما كاملا ، مستندا على أسس وخصائص الدعوة الصوفية المعتدلة المتمثلة في الطريقة الشاذلية السنية ، أصل الطريقة الدرقاوية ، متمسكا بهذا المنهج من أول آية في القرآن الكريم إلى آخر آية فيه.

وسوف نفسح المجال من خلال تقديم نماذج من التفسير الإشاري لبعض آي القرآن قصد الإفصاح عن مستوى الفهم الإشاري الذي بلغه المؤلف في تفسيره لكتاب الله عز وجل ، وعمق بصيرته وقوة اجتهاده في تجديد النفس الصوفي وإبراز إشاراته ولطائفه ومعانيه الصوفية الدقيقة، وفق منهج علمي متكامل قائم على رياضات ومجاهدات ، ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق، والإقبال على الله وتفريغ القلب من شواغل الدنيا وتخليته من المحب.

النموذج الأول من سورة الرعد ، الآية 2 يقول الله تعالى فيها: (الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) صدق الله العظيم.

يقول المفسر في الإشارة » الله الذي رفع سموات الأرواح، وزينها بنجوم العلم وقمر التوحيد ، وأشرق عليها شموس العرفان وأسرار التوحيد والتفريد ، ثم استوى بأسرار ذاته وأنوار صفاته على العرش ، وهو قلب العارف لأنه سريرالمعرفة ومحل بيت الرب، وسخر شمس المعرفة وقمر التوحيد يجريان بالترقي إلى محل التمكين ، وهو الأجل المسمى لهما ، يدبر أمر السير والترقي ، ويفصل دلائل الطريق الموصلة عين التحقيق لعلكم بالوصال إلى ربكم توقنون حين يكون ذوقا وكشفا . والله تعالى أعلم هـ.

النموذج الثاني من سورة البقرة . الآية 114:

قال الله جل جلاله » ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم » صدق الله العظيم.

يقول المؤلف » مساجد الله هي حضرة القلوب وحضرة الأرواح وحضرة الأسرار ، فحضرة القلوب لأهل المراقبة من أهل الإيمان ، وحضرة الأرواح والأسرار لأهل المشاهدة والمكالمة من أهل الإحسان فمن منع نفسه من الدخول في هذه الحضرات الثلاث ، وسعى في خراب باطنه باتباع الحظوظ والشهوات ، ومال إلى الدنيا وزخارفها الغرارات ، فلا أحد أظلم منه نفسا ، ولا أبخس منه صفقة ، فلا ينجع في هؤلاء إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق ، فإن لم يكن أحد من هذين بقي على غيه حتى يرى غائل الموت، فيحن إلى الدخول فيها خائفا، ولا ينفع الندم وقد زلت به القدم، له في الدنيا ذل الفقر والجزع، وله في الآخرة غم الحجاب وسوء الحساب وحسرة العتاب، هـ.

من خلال عرض هذه النموذجين من التفسير الإشاري للآيتين المذكورتين، يمكننا التعرف على الخطوط العامة الأساسية لمنهج المؤلف التي اعتمد فيها على الإشارة ، وعلى استبطان خفايا الألفاظ دون التوقف عند ظواهرها المألوفة ومعانيها المتداولة ، فهو يتعامل مع اللفظة القرآنية باعتبارها ذات مضمون وجوهر خفي لا يدركه إلا أهل التجريد من الصوفية الذين من الله عليهم بهذه الموهبة الربانية وفتح عليهم الفتح المبين.

وبالتمعن في تفسير الشيخ ابن عجيبة في جانبه الإشاري ، نجد تأثير الطريقة الشاذلية واضحا ، وحضور أقطابها قويا ، ويتجلى هذا التأثير من خلال تعدد نقول المؤلف عن كبار رجال الشاذلية ، واستحضار لمجموعة من آرائهم وأفكارهم ومصطلحاتهم الصوفية في ترجيم مواقفه وتقريراته الإشارية، وتوظيفها في تعزيز وتبرير المنحى الصوفي في كتاب ، فامتزجت بذلك تجارب الصوفية القدامى ، وتعانقت مع تجربة مؤلفنا الروحية وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار المدرسة الشاذلية إحدى المكونات الأساسية في تفسير الشيخ ابن عجيبة ، والمرجعية الثقافية التي كان ينهل منها، الأمر الذي أضفى على الكتاب ثراء وتنوعا وإبداعا.

وفي استفادة المؤلف من الطريقة الشاذلية ، وأخذه عن أقطابها ، إنما كان يصدر وينطلق من خلفيته الدرقاوية بأصولها الشاذلية التي تؤكد انتسابه إليها من خلال ربط سلسلة سنده بالإمام أبي الحسن الشاذلي في أخذه للطريقة الدرقاوية عن شيوخ التصوف أمثال سيدي علي العمراني الحسني الملقب بالجمل، ومولاي العربي الدرقاوي وسيدي محمد البوزيدي شيخه المباشر، ممن تشبعوا بروح التصوف الشاذلي واعتمدوا أسسه ومبادئه في تربية ، الأتباع والمريدين ومن بينهم الشيخ أحمد ابن عجيبة، .

يستعرض المؤلف في كتابه ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ص 18 سلسلة سنده في التصوف ، فبعد ذكره لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . باعتباره أول الأقطاب يتلوه سيدنا الحسن ولده رضي الله عنهما،و يصل سنده بأسماء عديدة إلى القطب الكبير مولاي عبد السلام بن مشيش ، ثم إلى أبي الحسن الشاذلي ، وخليفته أبي العباس المرسي ، ثم العارف سيدي أحمد بن عطاء الله ، إلى العارف سيدي علي بن عبد الرحمان العمراني الحسني ، ثم العارف شيخ المشايخ مولاي العربي الدرقاوي الحسني ، ثم العارف الكامل المحقق الواصل شيخنا سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الحسني ثم عبد ربه وأقل عبيده أحمد بن محمد ابن عجيبة الحسني ، ثم عنه خلق كثير والمنة لله العلي الكبير، هـ

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1086
السنة38
الجمعة 8 رمضان 1425 هـ الموافق
22 أكتوبر 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي: ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء- حي أكدال-
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1086 الجمعة 8 رمضان 1425 هـ .الموافق 22 أكتوبر 2004م

يمكننا اعتبار النظرة المسؤولة للكون، عبارة عن نتاج ديناميكية العقل الإنساني وخوارزميته المادية والروحية، داخل المنظومة الكونية والمتعددة الأبعاد، وبذلك يمكن للإنسان إيجاد كافة المسالك الصحيحة، للوصول إلى حل المعضلات الأساسية التي تعترض سبيل الإنسان السوي من جهة، ومعرفة المخلوقات الكونية وحقائقها من جهة أخرى.

وإذا كان الإنسان المؤمن يقرأ في الفضاءات المتعددة المناحي، فلأن ذلك يعتبر فريضة، عليه أن يؤديها كما أمره إسلامه، وكما يقول معلم البشرية محمد (ﷺ) : "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" وطلب العلم فريضة على كل مسلم، هذا ومن بين القراءات التي يقوم بها الإنسان المؤمن في حياته والتساؤلات التي يطرحها على نفسه، ذلك السؤال المكتوب بخطوط بارزة والذي يقول: هل هناك مخلوقات (آدمية)كونية؟ وأين هي هذه المخلوقات الكونية؟

إن هذا النوع من الأسئلة مازال يحير علماء القرن العشرين، ومازالت تتفاعل معه كثير من المختبرات ومراكز الأبحاث العلمية، والتي شهدت في العقد الأخير، تطورات مذهلة في ميدان الأبحاث الفضائية وتكنولوجياتها، حيث لم تعد تقتصر أبحاث العلماء أمثال Lord Kelvin وFrank Draken وJill Tarter وغيرهم، على مايدور بجوار الكرة الأرضية أو ماتحتويه مجرتنا درب اللبانة La voie Lactéea، بل تعدى ذلك، لتشمل الدراسة كل ما في الوجود الكوني، محاولين بذلك وضع خريطة كونية مع إرسال رسائل راديوتية حتى يستطيع الإنسان على كوكبنا، الدخول مباشرة في حوار مع مخلوقات أخرى، قد تكون مشابهة لنا، وقد تختلف اختلافا بينا عنا.

وهكذا برز في الآونة الأخيرة. على إثر اجتماع اللجنة 51 لاتحاد فلكيي العالم سنة 1982 . علم جديد أطلق عليه اسم: علم الحياة الكوني أو الفلكي "BIOASTRONOMIE" حيث توصل العلماء إلى حقيقة واضحة، وهي أن البحث عن حياة عاقلة في كواكب أخرى لم يعد ضمن لائحة العلوم الخيالية Science fiction، بل أصبح علما قائما بذاته، وهذا ما حدا بالعلماء، إلى إرسال رسالة فضائية بتاريخ 1974.11.16 من مركز الأبحاث الفضائية بـ Puerto Rico.

كما نجد الباحث Fermi Enrico . أحد المتحمسين لفكرة وجود مخلوقات في الكون. يذهب بعيدا في أبحاثه وتصوراته، ولم يستبعد في فضائه العقلاني انفراد الحياة الآدمية على كوكبنا الأرضي، بل أضاف تساؤلات تكميلية، حيث قال: أين توجد هذه المخلوقات الكونية؟

وهناك طائفة من العلماء تتفق على الفكرة الآتية: ألا وهي أن حياتنا ليست سوى امتداد لتطورات بيولوجية ابتدأت منذ مايقارب 15 مليار سنة، أي منذ حدوث الانفجار الأعظم BIG BANG. حسب التعبير الإنساني ، أو منذ حدوث الانفتاق. حسب التعبير القرآني، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. حيث يقول سبحانه:

"أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما" الأنبياء/30.

كما أن هناك. كما هي سنة الحياة. من أبعد عن فضاء التفكير والبحث العلميين، فكرة وجود حياة عاقلة في منطقة أخرى من الكون، إلا أن الملاحظ، هو أن التوصيات التي خرجت من المؤتمر الدولي بأميركا 1979، والمقالات التي صدرت عن الباحثين في علم الفضاء الفيزيائي أمثال Emmanuel Da-voust وFrank Dracke من جامعة

علم الأحياء الكونية

هل هناك مخلوقات كونية؟

مصداقا لقوله تعالى: "وربك أعلم بمن في السماوات والأرض"الإسراء/الآية:55

■ إعداد الأستاذ: ادريس خرشاف

كاليفورنيا، وكذلك الأبحاث التي صدرت من جامعة Cambredge للباحث Edoouard Rejis تحت عنوان: ExtraterrestrialS; Science and Alien intelligence كل هؤلاء يؤكدون فكرة وجود حياة عاقلة كونية، ومنهم من يعلل وجود الحياة استنادا لتصور السيناريو الآتي: "عقب حدوث الانفتاق الأعظم، تولد عن ذلك حدوث الغبار الجزيئي الأولي للمادة، الذي اجتمع ليشكل الذرات، واجتمعت هذه الأخيرة بدورها لتشكل الوحدة الجزيئية، ومنها الخلايا، وهذه الأخيرة أدت إلى حدوث خلق المخلوقات الحية والتي جاء منها الإنسان (حسب مايعتقده أهل الاختصاص)".

ولقد أظهرت الأبحاث التي أجريت لحد الآن في هذا الميدان بواسطة الراديو الكوني أن هناك عددا لايقل عن 60 نوعا من الجزيئات، بعضها جزيئات معقدة التركيب.

"وإذا كانت المخلوقات. يضيف العلماء. قد نتجت عن هذا التسلسل البيولوجي في الكون، فإن وجود الكربون والأوكسجين والهيدروجين والأزوت في الكون يضفي الشرعية على فكرة احتمال وجود مخلوقات أخرى في الكون". وهذا ما أكدته. على سبيل المثال. الحوادث الكونية، والتي وقعت في أنحاء متفرقة من الكرة الأرضية، ونقتصر في كلامنا على النموذج الأسترالي، حيث سقط حجر سماوي (مذنبات) على مدينة Mur-chison بأستراليا، وكان يحتوي على 55 حامضا أمينيا، من بينها 8 حوامض أمينية من 20 الحامض الأميني الذي يدخل في تكوين البروتينات الحيوانية.

كل هذه المحاولات الجادة تدل على مستوى الإدراك العلمي في ديار الغرب، وكذلك رزانة وقوة البحث العلمي عندهم، ونحن في دول الإسلام عن ذلك غافلون.

ثم إن القارئ الكريم سيلاحظ من خلال هذا البحث المتواضع، أننا لم نتطرق للأفكار التي سادت العصور الأخيرة منذ القرن الخامس عشر.

والسبب في ذلك يرجع لتواضع الأفكار السائدة عند المهتمين في ذلك العصر، سواء كان ذلك عند رجال الكنيسة، ونقصد علماء اللاهوت، أو ظهور معتقدات عشوائية وشعوذة لاتمت للعقل بصفة، كما دلت كتب الأدب الهندي في ميثولوجياتها.

كل ذلك شكل ثغرات في مسيرة الإنسان العقلية، مما جعل كل الروايات والتأملات الفردية تفقد مصداقيتها في فضاء التفكير العلمي، وهذا هو السبب الذي دفعنا إلى تنقية المسيرة العلمية من الهرطقة والشعوذة الإنسانية.

يبقى السؤال المطروح هو أين علماء المسلمين من كل الأبحاث الفلكية التي سبق ذكرها؟

أو بمعنى آخر، بعد هذه النظرة. ولو بإيجاز. لأبحاث الغرب، ومحاولاتهم الجادة من أجل التعرف ومخاطبة المخلوقات الكونية، نعيد سؤالنا الذي طرحناه قبل قليل ونقول: أين نحن معشر المسلمين من كل هذه الأبحاث؟ ومراكز الأرصاد الجوية والفلكية؟

ألم نكن في مقدمة الركب الأممي من القرن الثامن إلى القرن الرابع عشر؟ ألم نكن أمة العلم (أمة إقرأ)، حيث قمنا ببناء المراكز الفلكية في كل من دمشق وأصفهان وبغداد والقاهرة وغيرها؟

ألم تكن لدينا أطر علمية وعالية في شتى مجالات المعرفة، وخاصة في علم الفلك أمثال البيروني والقلصادي والبتاني..؟

لماذا تقهقرنا إذن وقد كنا في أول الركب؟ لماذا لم تكن لنا المبادرة ونقول للغرب إن هناك حتما مخلوقات كونية، لأن القرآن الكريم نص على ذلك منذ خمسة عشر قرنا، ثم نعطي البراهين العلمية والحجج الدامغة عن وجودها؟ لماذا ولماذا إذن تقهقرنا...؟

وهل الفكرة القائلة بأن القرآن الكريم قد نص على وجود مخلوقات كونية في عالم آخر صحيحة؟ لنرى ذلك.

إذا تمعنا في كلام الله عز وجل، وجدنا القرآن يخاطبنا بلغة الأحداث (حسب التعبير الرياضي. الاحتمالي)، حيث يثبت لنا أن عطاءاته كبيرة لاتنتهي، مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم" سورة العلق/الآية:53.

ويقول تعالى: "قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أ تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا"سورة الكهف/الآية:109.

ثم إن القرآن الكريم قد سبق العلم الحديث في كل ميادين المعرفة، وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يحفز الإنسان إلى تلمسياحاته وإشارته للعلوم الكونية، على استعمال ملكات التفكير وأدوات الرؤية والطاقات المادية والروحية، وفي ذلك يقول رب العالمين: "وعلم آدم الأسماء كلها" سورة البقرة/الآية:31.

انطلاقا مما سبق، نقول للقارئ الكريم: عندما يقول لنا العلم الحديث إن هناك مخلوقات في كواكب أخرى، نقول لهم، لقد سبق القرآن الكريم كل ذلك، وأثبتها في آيات عديدة، حيث يبتدئ بالعرض الشامل إذ يقول: "وربك أعلم بمن في السماوات والأرض".سورة الإسراء/الآية:55.

فهذه الآية تعتبر المدخل الرئيسي للبحث في ملكوت السماوات والأرض، بعد ذلك، ينبهنا إلى أن هناك مخلوقات كونية تسبح لله، ضمن الآيات:

1. "سبح لله ما في السماوات والأرض"سورة الحديد/الآية:1.

2 "تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن"سورة الإسراء/الآية:44.

3 "ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها"سورة الرعد/الآية:15

وهناك من يفسر هذه الآيات، حيث يقول إن الذي يوجد في السماوات هم الملائكة، لكن عندما نأتي لآية أخرى، فإن وقعها سيكون ذا تأثير كبير حينما يقول رب العالمين: "ولله يسجد ما في السماوات والأرض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون"سورة النحل/الآية:49.

وهنا يوضح لنا رب العزة، أن الذي يسجد لله في السماوات والأرض لايقتصر، فقط، على الملائكة بل حتى الدواب، وهذا يدل دلالة واضحة على أن الدواب كذلك موجودة في السماوات، ويبقى لنا تفسير لفظة الدابة من القرآن نفسه، وها هو القرآن الكريم الذي لم يفرط في شيء يقول عن مصطلح الدابة:

"والله خلق كل دابة من ماء، فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء، إن الله على كل شيء قدير"سورة النور/الآية:45.

وفي هذه الآية دلالة واضحة، على أن في السماوات (في أقطار أخرى) مخلوقات من جميع الأصناف، لاتقتصر على المخلوقات التي تمشي على رجلين، بل كذلك على الحيوانات التي تمشي على أربع، وتلك التي تمشي على بطنها.

بالإضافة لكل هذا وذاك، نضيف نحن المسلمين فكرة وجود نباتات وأشجار وطبيعة في عوالم أخرى، وليس كرتنا الأرضية فقط، هي التي تتمتع بهذا الجمال الطبيعي، ونقول هذا الكلام انطلاقا من الآية الكريمة: "ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء من السماوات والأرض"سورة النمل/الآية:25.

وهذا الخبء هو الذي يمثل كل الكائنات الحية التي تخرج من الأرض: من نبات، وأشجار وعشب..

حسب ماتقدم، يتضح لنا أن القرآن الكريم أعطانا صورة واضحة عن مخلوقاته، سواء كانت موجودة في منطقتنا الزمكانية، أو تلك التي توجد في فضاء عقلاني بحثي وتجريبي في الكون.

2. لم يخبرنا عن وجود مخلوقات آدمية أخرى فحسب، بل أخبرنا عن وجود الحيوانات (النحل .49)، والنبات كذلك (النمل. 25) وهذا يمثل قمة العلم المخبري والرياضي والفلكي، لأن العلماء لم يتوصلوا بعد إلى فكرة وجود الحيوانات والنباتات في عوالم أخرى.

فلذلك نقول، ألم يحن الوقت لكي نسمع عن أحمد أو علي ومحمد أنهم قاموا بإلقاء محاضرة في مركز للأبحاث الأجنبية يوضحون للناس أن الفكرة المقتصرة. في عوالم أخرى. على الإنسان إنما هي فكرة ضيقة المعالم، وأن الفكرة الشاملة هي وجود تناظر في العوالم الكونية، مصداقا لقول رب العالمين: "والله خلق الأزواج كلها" سورة الزخرف/الآية:12 "ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون" سورة الذاريات/الآية:49. هذا خلق الله، فتبارك الله أحسن الخالقين الذي نظم الكون، وجعله قياسيا وفق خوارزمية معينة، ووفق نظام محكم.

وأخيرا، لم يبق لنا إلا أن نقول للشباب: عليكم بقراءة وإعادة قراءة القرآن الكريم، ففيه كل العلوم وفيه الجمال والخلود، مصداقا لقوا رب العالمين حينما يقول: "مافرطنا في الكتاب من شيء"سورة الأنعام/الآية:38.